

روايات مصرية للجيب

الكتاب التاسع عشر

ضيف النجوم

وقصص أخرى

د. نبيل فاروق

كوكبي

ثقافة الغد .. لشباب اليوم



Looloo

www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٠٠٠ شارع صلاح الدين، القاهرة - ت ٩٠٨٥٥

كنت هناك

قصة
قصيرة



ارتفعت استعدادات الأمن إلى الدرجة القصوى ، في قاعدة الفضاء الأمريكية (كيب كيندي) ، وراح طاقم المراقبة يتابع في اهتمام بالغ شاشات الرصد ، وبيانات أجهزة الكمبيوتر وتحليل المعلومات ، تمهيداً لإطلاق مكوك الفضاء الجديد ، في أول رحلة تحمل رواد فضاء إلى كوكب المريخ ، وفرك قائد القاعدة كفيه في انفعال ، وهو يراقب ما يحدث حوله ، قائلاً لمساعدته الأول :

- لدى شعور بأننا نحيا لحظة تاريخية عظيمة .. كم تمنينا أن نرسل روادنا إلى كوكب المريخ ، بعد أن جمعنا كل المعلومات اللازمة عنه ، من خلال سفن الفضاء ، التي يتم توجيهها عن بعد .
ابتسم المساعد ، وهو يؤمن على حديثه ، قائلاً :
- لقد أصبحنا نعرفه عن ظهر قلب ، وأجهزة الكمبيوتر صنعت

• مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي والعشرين ..

• مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..

• مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

• مع كل هذا جاءت كوكيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..

• إلى الحضارة ..

• إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

صورة وهمية لسطحه ، تم تدريب الرواد عليها ، بحيث سيهبطون على سطحه ، ويجوبون منطقة الهبوط كلها ، دون أن يشعروا بالغبرة .
أوما القائد برأسه ، وغمغم :
- هذا صحيح .. هذا صحيح .

ثم التفت نفساً عميقاً ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة واسعة ، وهو يتابع فى لهجة تحمل الكثير من الزهو :

- إنها الخطوة الأولى فى مشروع هائل ، سيحتاج منا إلى عمل مستمر ، لعشر سنوات على الأقل .. خيال الأدباء سيتحول إلى حقيقة ملموسة ، عندما نقيم أول منتج سياحى على سطح المريخ .
هز المساعد كتفيه ، وقال :

- مازلت أعتقد أن هذا المشروع يفتقر كثيرًا إلى الجدوى الاقتصادية ، فمن ذا الذى يمكنه أن يدفع مليونى دولار ، مقابل ثلاثة أسابيع على سطح المريخ ؟

فهقه القائد ضاحكًا ، وهو يقول :

- أراهنك أنك ستجد المنات من البلهاء ، الذين لا يترددون فى دفع ضعف المبلغ ، ليزهوا بأنهم أول مدنيين ينطلقون إلى الفضاء ، وما إن نبدأ فى الإعلان عن الأمر ، حتى يتم حجز كل الأماكن لستة أشهر تالية على الأقل .

مط المساعد شفثيه مرة أخرى ، وقال :

- سنرى .

لم يكذب ينطق كلمته ، حتى بدأ العد التنازلى النهائى للإقلاع ، فتألفت عينا القائد ، وهو يقول :

- استعد يا رجل .. نصف الساعة فحسب ، وتبدأ أعظم الرحلات الفضائية ، فى تاريخ كوكب الأرض .
ارتفعت دقات على باب مكتبه ، فى هذه اللحظة ، ثم دلف إليه أحد رجال الأمن ، وهو يقول للقائد :

- معذرة ياسيدى ، ولكن هناك أمر عاجل ، يحتاج إلى رأيك شخصيًا .

أطل القلق من عيني القائد وصوته ، وهو يسأله :

- ماذا هناك ؟

أجابه رجل الأمن :

- رجل يصر على مقابلتك ، ويؤكد أن هذه المقابلة لها أهميتها القصوى ، وأنها تتعلق بنجاح رحلة المكوك .
انعقد حاجبا القائد ، وتبادل نظرة متوترة مع مساعده ، قبل أن يسأل رجل الأمن :

- وكيف يبدو هذا الرجل ؟

هز رجل الأمن رأسه ، وهو يجيب :

- الواقع أن شكله وهينته لا يوحيان أبدًا بأنه يحمل ما يمكن أن يفيد ، ولكن الأسلوب الذى يتحدث به ، يؤكد أنه يؤمن تمامًا بما يقول .
انعقد حاجبا القائد أكثر ، ثم التفت إلى مساعده ، وسأله :

- ما رأيك ؟

أجابه المساعد فى رصانة :

- دعنا نستمع إليه .. إننا لن نخسر شيئًا .
ثم وجه حديثه إلى رجل الأمن ، مستطرذا :

- فتشبه جيدًا ، وتأكد من أنه لا يحمل سلاحًا ، ثم أرسله مع رجلين من رجال الأمن ، ودعهما يحضران المقابلة كلها ، ويستعدان للتدخل مباشرة ، إذا ما بدرت منه بادرة ما .

لم يفارق القلق وجه القائد ، حتى حضر رجلا الأمن ، وهما يقودان أمامهما رجلًا أشيب الشعر ، أشعثه ، توحى ملامحه بأن عمره يحوم حول الستينيات ، ولكن لحيته النامية بشعيراتها البيضاء ، وحلته الرثة ، منحاه عمرًا يفوق هذا بعشر سنوات على الأقل ..

وفي شيء من الازدراء ، سأله القائد :

- من أنت يا رجل ؟

رفع الشيخ عينيه إليه ، وومض الذكاء فيهما في وضوح ، وهو يجيب :

- اسمي (حسن عبد الجليل) .

انعقد حاجبا القائد في توتر ، وهو يقول :

- أي اسم هذا ؟ .. من أين أنت يا رجل ؟

أجابه الشيخ في هدوء ، يحمل رنة اعتزاز واضحة :

- أنا مصري .

وعلى العكس تمامًا ، فقد هتف القائد في استهجان عجيب !:

- مصري ؟!

وقلب شفتيه ، وهو يتفحص الرجل مرة أخرى ، قبل أن يجلس خلف

مكتبه ، ويسأله في استخفاف واضح :

- ولماذا تصرّ على مقابلتى أيها المصري ؟

بدا الاهتمام فجأة على الشيخ ، وهو يقول :

- كان من الضروري أن ألتقى بك لأحذرك .

رفع القائد حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :

- تحذرنى ؟!

اندفع الشيخ يقول :

- بالتأكيد .. لقد اخترت أسوأ نقطة للهبوط ، على سطح المريخ ..

لا بد لكم من تعديل خط سير الرحلة ؛ للهبوط في بقعة أخرى .

ثم أشار نحو خريطة كوكب المريخ ، التي تحتل جزءًا من الجدار ،

مستطرذا :

- كهذه مثلًا .

تطلع كل الموجودين في الحجرة إلى الخريطة ، ثم غمغم المساعد :

- إنها منطقة لا بأس بها للهبوط ، ولكن المنطقة التي وقع اختيارنا

عليها ممتازة .

رمقه القائد بنظرة مستهجنة ، وكأنما يستنكر مجرد محاولة مناقشة

ذلك الشيخ المصري ، ثم أشعل سيجارة ، ونفت دخانها في هدوء ، وهو

يقول :

- نشكرك كثيرًا على هذه المعلومة أيها المصري .. سنضعها في

الاعتبار ، في الرحلات القادمة .

سرى التوتر في ملامح الشيخ ، وهو يقول :

- يبدو أنك لم تفهمنى .. هذه البقعة بالذات لا تصلح لهبوط المكوك

على سطح المريخ ، ولو حاول الهبوط عليها ستكون كارثة .

ابتسم القائد في سخرية ، وقال :

- حقًا ؟!

التقط الشيخ نفساً عميقاً ، قبل أن يقول فى توتر بالغ :
- اسمعنى جيداً ، وحاول أن تفهم ما أقول .. صحيح أن سطح المريخ يبدو صلباً وقوياً ، والكوكب نفسه أشبه بصحراء جرداء ، ولكنه لم يكن كذلك فى الماضى .. لقد كان نسخة من كوكب (الأرض) الحالى ، ولكنه واجه الكارثة نفسها .. ذرّته ضعف غلافه الجوى .. تماماً كما يفعل بنا ثقب الأوزون الآن ، ولقد تجاهل سكان المريخ هذا فى البداية ، ولم يولوه الاهتمام المناسب .

اتسعت ابتسامة القائد الساخرة ، وتطلّع إلى مساعده ، وهو يقول للشيخ متهكماً :

- وسكان المريخ هؤلاء خضر البشرة بالطبع ، ولهم هوانى على رءوسهم .. أليس كذلك ؟

لوح الشيخ بسبابته فى وجهه ، وهو يقول :

- لا تسخر منى يا رجل .. استمع إلى جيداً .. إتنى أحاول منع حدوث كارثة .

كاد القائد ينفجر ضاحكاً ، وهو يقول :

- من ذا الذى يسخر منك يا رجل .. هيا .. أكمل .. كلنا آذان صاغية .
التقط الشيخ نفساً عميقاً ، وازدرد لعابه فى صعوبة واضحة ، جعلت المساعد يسرع بإعطائه قنحاً من الماء ، جرعه الشيخ على دفعتين ، وأعاد القدر إلى المساعد ، وهو يكمل مباشرة :

- ولكن المشكلة تفاقمت ، ولم يعد المناخ صالحاً للعيش على سطح الكوكب ، فصنع من تبقوا مدينة تحت سطح المريخ ، وعاشوا فيها ، وجعلوا لها قبة من مادة أشبه بالزجاج ، ليروا منها الشمس والسماء .

هتف القائد ساخرًا :

- رانع .. سأنقل هذه الفكرة حتماً إلى (سبيلبيرج) .. هيا .. أكمل يا رجل .. أكمل .

تابع الشيخ ، وكأنه لم ينتبه إلى السخرية فى لهجة القائد :
- ولكن حتى هذا لم يفلح فى الإبقاء عليهم ، فبدءوا يتساقطون ، واحداً بعد الآخر ، وفى النهاية استقل الباقون على قيد الحياة الصاروخ الوحيد المتبقى ، وغادروا الكوكب ، واتجهوا إلى الأرض ، وعاشوا فيها ما تبقى لهم من العمر ، وتناسلوا ، وأنجبوا جيلاً جديداً ، يجهل معظمه حقيقة أجداده ، ويحيا باعتباره من أهل الأرض ..

صفق القائد بكفيه ، وقال :

- رانع .. رائع .. أشكرك كثيراً على هذه الرواية الممتعة يا رجل .

ثم مال نحوه بغتة ، مستطرذاً فى خبث ساخر :

- ولكن ما علاقة هذا برحلة مكوكنا الجديد ؟

أجابته الشيخ فى انفعال :

- ألم تفهم بعد يا رجل ؟ .. تلك البقعة التى وقع اختياركم عليها ،

لهبوط المكوك الجديد ، هى تلك القبة الزجاجية للمدينة المريخية ..

صحيح أن الرمال والحصى قد أخفياها ، مع مرور السنين ، ولكنها

ما زالت مجرد قبة زجاجية ، لن يمكنها احتمال الهبوط قط .. حاول

أن تفهم يا رجل .. إنك ستتسبب فى كارثة شنيعة .

لوح القائد بذراعيه ، وقال فى أسف ساخر :

- لقد فهمت يا رجل ، ولكن ماذا أفعل ؟ .. العد التنازلى يقترب من

الصففر ، وسيطلق المكوك بعد لحظات .

شحب وجه الشيخ ، واتسعت عيناه فى هلع ، وهو يهتف :
- لا .. لا .. مستحيل !

ثم انقض على القائد فى ثورة ، صارخا :

- لا بد أن تمنع قيام هذه الرحلة .. لا بد .. لا بد .
صرخ القائد :

- أوقفوا هذا المجنون .

اندفع رجلا الأمن نحو الشيخ ، وحاولا الإمساك به ، ولكنه ركل أحدهم ركلة قوية للغاية ، لا تتناسب مع ضالته ونحوه ، ثم لكم الثانى لكمة أشد قوة ، وعاد يصرخ فى القائد :

- أوقف الرحلة .. افعل شيئا .

وهنا انتزع أحد الرجلين مسدسه ، وأطلق النار على ظهر الشيخ ..
واتسعت عينا الشيخ فى ألم واستنكار ، وهتف :

- أنتم المسنولون .. أنتم السبب فى الكارثة .

وسقط على وجهه فوق المكتب ، والدماء تنزف من ظهره فى غزارة ، فهتف المساعد :

- هل .. هل لقي مصرعه ؟

أسرع رجلا الأمن يفحصانه ، ثم قال أحدهم ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، ليطلب سيارة إسعاف :

- كلاً .. إنه مازال على قيد الحياة .

وفى نفس الوقت الذى علا فيه صوت بوق سيارة الإسعاف المميز ، كان مكوك الفضاء الجديد ينطلق فى رحلته الأولى نحو الكوكب الأحمر .. المريخ ..

أربعة وعشرون يوماً مضت بالتحديد ، على تلك الواقعة ، عندما اندفع قائد قاعدة الفضاء (كيب كيندى) ومساعدته ، إلى المستشفى المركزى ، وهتف الأول فى لهفة :

- أين هو ؟

رفعت الممرضة السوداء عينيها إليهما فى دهشة ، وسألت :

- هو من ؟

لوح القائد بذراعيه فى توتر ، وهو يقول :

- ذلك المصرى ، الذى أصيب برصاصة فى ظهره ، منذ أربعة

وعشرين يوماً .. أين هو ؟

راجعت السجلات المنونة على جهاز الكمبيوتر فى سرعة ، قبل أن تسأل :

- أتقصد (حسن عبدالجليل) ؟

أجابها فى لهفة :

- نعم .. هذا اسمه .. أين هو ؟

سألته فى صرامة :

- أنت أحد أقاربه ؟

أجابها فى حدة :

- كلاً ، ولكننى أريد مقابلته على الفور .. إنه أمر يتعلق بالحكومة .

أشارت إلى نهاية الممر ، وهى تقول :

- لا بد أن تحصل على تصريح خاص من الدكتور (ألبرت) .

اندفع الرجلان نحو الدكتور (ألبرت) ، وقتما له مطلبهما ، فبدأ

عليه التردد ، وهو يقول :

- الواقع أن صحة هذا المريض تتدهور باستمرار ، والعقاقير التي نحققه بها لا تفلح في علاجه ، ولست أدري ما إذا كان من الممكن أن أسمح لكما بزيارته ، و ...

قاطعته المساعد في صرامة :

- من المحتم أن نلتقى به ، والرئيس نفسه طلب هذا .

شحب وجه الطبيب ، وهو يشير إلى حجرة الشيخ ، مغمفماً :

- في هذه الحالة ..

لم ينتظرا لسماع قوله ، وإنما اندفعا إلى حجرة الشيخ ، الذي بدا أشد وهنا ونحوها ، وهو يرقد في فراش المرض ، وعشرات الأسلاك والخراطيم تتصل بجسده ، مع عشرات الشاشات والمؤشرات التي تحيط به ..

وعلى الرغم من كل هذا ، دفع القائد الرجل بيده في توتر ، وهو يقول :

- استيقظ أيها المصري .. نريد أن نتحدث إليك .

فتح الشيخ عينيه في صعوبة ، وتطلع إلى القائد ، الذي سأله في عصبية :

- كيف عرفت كل هذا ؟

بدا تساؤل واضح في عيني الشيخ ، فقال المساعد ، محاولاً تهدئة الموقف :

- الواقع أننا مبهورون للغاية بما حدث .. لقد وصل مكوك الفضاء الجديد بالفعل إلى المريخ ، وعندما هبط في البقعة المحددة ، انهارت تحته تمامًا ، وهوى في قلب مدينة قديمة ، وانفجر داخلها ، ولكن

مركبة فضائية آلية قديمة صوّرت كل ما حدث .. لقد كانت قبة زجاجية بالفعل ، وداخلها بقايا مدينة مريخية قديمة .

بدا الحزن على وجه الشيخ ، في حين هتف القائد :

- كل شيء كان كما وصفته تمامًا .. كيف عرفت هذا ؟ .. أنت قارئ للغيب .

هزّ الشيخ رأسه نفيًا في صعوبة ، فصاح القائد في حدة :

- كيف عرفت هذا إذن ؟

تمتم الشيخ بكلمات غير مفهومة ، فقال المساعد في اهتمام :

- ماذا تقول ؟

ازدرد الشيخ لعابه ، وبدا من الواضح أنه يستنفر كل ذرة من الطاقة في جسده ، ليقول :

- كنت هناك .

اتسعت عينا القائد في ذهول ، وهو يردد :

- كنت ماذا ؟

ولكن رأس الشيخ انهار على وسائته ، وخبأ بريق الحياة تمامًا من عينيه ، اللتين تحجرتا على نحو مخيف ، فصاح المساعد :

- انقذوه .. إنه لم يخبرنا ما لديه بعد .

أسرع فريق من الأطباء إلى حجرة الشيخ ، وراحوا يبذلون قصارى جهدهم لإسعافه ، ومحاولة إنعاش قلبه المنهك ..

ولكن هيهات ..

لقد لفظ الشيخ أنفاسه الأخيرة ، وترك خلفه لغزًا رهيبًا ..

لغزًا بلا حل .

٢ - آلة بصرية ، تُستخدم في تكبير صور المرئيات ، وتعتمد على العدسات المحدبة الوجهين ، بحيث يوضع الجسم على بُعد أقل من بعدها البؤري ، فترى العين له من خلالها ، صورة تقديرية مكبرة معتدلة ، وهي تتكوّن عادة من عدستين ، يُطلق على إحداهما اسم الشينية ، والأخرى اسم العينية ، تصل بينهما أنبوبة مفتوحة الطرفين ، وهذه الآلة هي :

٣ - التليسكوب . البيروسكوب . الميكروسكوب .
 ٤ - حيوان ثديى ليلى ، رجلاه الأماميتان أطول من الخلفيتين ، يتغذى بالجيف ، وتعيش منه أنواع مخططة فى (إيران) و (الهند) ، وشمال (إفريقيا) ، أما الأنواع الغبراء ، فتعيش فى جنوب (إفريقيا) ، ولهذا الحيوان صيحة عالية ، وتوجد منه بعض الأنواع فى (مصر) ، وهو :

٥ - الذئب . الضبع . الثعلب .
 سلسلة جبلية شمال (اليونان) ، قرب ساحل بحر (إيجة) ، بها أعلى قمم اليونان ، حيث يبلغ ارتفاعها حوالى ٣١٩٠ متراً ، وكانت لها شهرة واسعة فى الأساطير اليونانية القديمة ، ويُطلق عليها اسم :

افرست . التبت . أوليمبوس .

اختبر معلوماتك



فى هذا الكتاب أيضا نلتقى ..
ويستمر السباق ..

ومرة أخرى نطرح عليك مجموعة من الأسئلة ، مع معلومة صغيرة ، والمطلوب منك أن تقرأ المعلومة ، ثم تجيب عن السؤال .. وحاول أن تستفيد من الجانبين ..

من المعلومة ، ومن السؤال ..

وبعد أن تضع كل الحلول ، وتنتهى من كل المعلومات ، اطرح على نفسك سؤالنا التقليدى :
هل أنت مثقف !؟

★ ★ ★

١ - لغوى اشتهر بشروحه للنصوص القديمة وتنقيحها ، مثل شرح (القوائد العشر) ، و (المفضليات) ، و (شعر المتنبى) ، و (مقاتل الفرسان) ، ولد عام ١٠٣٠ م ، ومات فى (بغداد) عام ١١٠٩ م ، وهو :

ابن منظور . التبريزى . سيبويه .

٦ - واحد من مؤسسى النهضة المصرية الحديثة ، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح فى العالم الإسلامى ، درس فى (الأزهر) ، وتأثر بـ (جمال الدين الأفغانى) ، ورأس تحرير جريدة (الوقائع المصرية) ، واشترك فى الثورة العربية ، فحوكم ونفى ، وبعدها عاد إلى (مصر) ، وعُيِّن مفتيًا للديار المصرية ، وهو :

محمد عبده . محمد رشيد رضا . محمد على .
٧ - اسم أعجمى معرَّب لآلة حربية ، تستخدم الأحجار وتقدفها ، استخدمت فى حروب الحصار ، منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وحتى القرن الخامس عشر ، وخاصة فى العصور الوسطى ، ولقد بطل استخدامها بعد اختراع البارود والمدافع ، ويمكن أن تستخدم فى إلقاء النيران والسهام وقذور الحشرات ، وهذه الآلة هى :

المدفع . القوس والسهم . المنجنيق .
٨ - عملية تجرى لتحويل الفلزات أو خاماتها ، إلى الحالة السائلة ، لاستخلاصها من الشوائب ، أو خلطها مع فلزات وخامات أخرى بنسب معينة ، لتكوين سبائك أو صبها فى قوالب ، لتكوين مشغولات معينة ، ويكون هذا مصحوبًا - فى العادة - بتغيير كيميائى ، ويُطلق على هذه العملية اسم :

التبخير . الصهر . التسخين .
٩ - كاتب روسى ، كان من أنصار الحركة المستقبلية ، ولكن موهبته تتجاوز لغة التصنيف بكثير ، وأوَّل وأشهر رواياته (دكتور زيفاجو) ، التى لقيت نقدًا شديدًا وعنيفًا عند نشرها ، وهى

ملحمة عظيمة عن فترة الثورة السوفيتية ، ونال عنها جائزة (نوبل) للأدب ، عام ١٩٥٨ م ، وهذا الكاتب هو :

بوريس باسترناك . فلاديمير تابكوف .
 إسحاق عظيموف .

١٠ - عنصر فلزى ، سهل الطرق والسحب ، موصل جيد للكهرباء ، ولكن ليس له نشاط كيميائى ، وتردد صلابته عند صنع سبائك منه مع فلزات أخرى ، وهو المعدن المفضل للتغطية الاقتصادية النقدية ، ومن أكثر مناطق إنتاجه (روسيا) و (أمريكا) و (كندا) ، وجنوب (إفريقيا) ، وهو :

الفضة . البلاتين . الذهب .

١١ - بحر صغير ، طوله ٦٤٤ كم ، وعرضه ٣٢٢ كيلومترًا ، ويعتبر ذراعًا من البحر المتوسط ، بين (اليونان) و (آسيا الصغرى) ، ويربطه (الدردنيل) ببحر (مرمرة) ، وبه الكثير من الجزر الصغيرة ، واسمه :

قزوين . إيجه . الأسود .

١٢ - رواية خيالية ساخرة ، ألفها (جواناثان سويقت) ، ليسخر فيها من غرور الجنس البشرى ، وهى تصف رحلات بطلها فى بلاد الأقزام وبلاد العمالقة ، ولقد نجحت عند الكبار ، لما تحويه من نقد سياسى ساخر ، ونجحت لدى الصغار ، لما تضمه من تشويق ومغامرات ، واسم هذه الرواية هو :

(أليس) فى بلاد العجائب . الأميرة النائمة .
 رحلات (جاليفر) .

١٣ - كاتب عربي يجيد الفرنسية ، ولد ومات في (القاهرة) ، وعمل بالقضاء مدة بعد دراسته في (الأزهر) ، ثم بالمجمع اللغوي ، وله أسلوب خاص في الكتابة ، يزخر بالدعابات الساخرة المنمقة ، وله كتاب يجمع هذه المقالات اسمه (في المرأة) ، إلى جانب كتابين آخرين : (المختار) ، و (قطوف) ، وهذا الكاتب هو :

- عبد العزيز البشري . مصطفى لطفى المنفلوطى .
 عباس محمود العقاد .

١٤ - علم تحديد النقاط المختلفة على سطح الأرض ، وارتفاع بعضها بالنسبة للبعض ، أو بالنسبة لمستوى ثابت ، ويتم استخدامه لغرضين ، إما لرسم الخرائط ، وتحديد المواقع والحدود ، أو في المشروعات الهندسية والأغراض الحربية ، وهذا العلم هو :

- الجيولوجيا . الهندسة المدنية . المساحة .
١٥ - جرح بطيء الانشمال ، يصيب الجلد أو الأغشية المخاطية ، وأسبابه كثيرة ، أهمها قصور الدورة الدموية ، أو الالتهابات والسموم ، أو عدم القدرة على سرعة تعويض الخلايا السطحية ، التي تتآكل باستمرار ، وأيضاً عن النقص الدائم لفيتامين ب ١٢ ، ويُطلق على هذا الجرح اسم :

- الالتهاب . القرحة . الحساسية .
١٦ - كاتب مسرحى أمريكى ، بدأ بكتابة مسرحيات قصيرة ، ولاقى كتاباته نجاحاً باهراً ، حتى أنه فاز بجائزة (بوليتزر) ثلاث مرات ، ومسرحياته كلها من نوع المأساة ، تأثر فيها بالرمزية

والأساطير القديمة ونظرية (فرويد) ، ونال جائزة (نوبل) للأدب ، عام ١٩٣٦ م ، وهو :

- آرثر كلارك . يوجين أونيل . آرثر ميلر .
١٧ - نبات عشبي حولي ، اسمه العلمى (فيسيا فابا) ، من الفصيلة القرنية ، موطنه الأصلي جنوب غرب (آسيا) ، ويوجد منه ما يقرب من خمسين نوعاً ، وهو يستخدم للإنسان والحيوان ، ويؤكل كنبات أخضر ، أو يتم طهيه بوسائل خاصة ، وهو يحوى كمية لا بأس بها من البروتينات ، تجعله واحداً من أفضل الأطعمة الشعبية ، وهو :

- الفول . البلح . الجرجير .
١٨ - فيلسوف وطبيب عربى أندلسى ، اشتغل حاجباً لدى حاكم (غرناطة) ، ثم وزيراً أو طبيباً لأمير الموحدين فى (مراكش) ، وترتبط شهرته برسالته ، التى يعرض فيها بوسيلة قصصية فلسفية ، حياة متوحد عاش فى جزيرة نائية ، والرسالة تحمل اسم (حى بن يقظان) ، وفلسفته ذات طابع ذوقى ، أكثر منها عقلانية ، وهذا الفيلسوف هو :

- ابن النفيس . ابن الطفيل . ابن حباجة .
١٩ - عاصمة جزيرة صقلية ، وأكبر مدنها وموانئها فى (إيطاليا) ، وهى سهل خصب على الساحل الشمالى الشرقى ، حكمها العرب من عام ٨٣١ م ، وحتى عام ١٠٧٣ م ، وازدهرت ثقافياً واقتصادياً تحت حكمهم ، وطرز العمارة فيها تعكس التأثير البيزنطى ، والعربى والنورماندى ، وهذه العاصمة هى :

- مالطا . رودس . بالرمو .

٢٠ - علم يدرس أصل النوع الإنساني ، وكل الظواهر المتعلقة به ، كما يدرس الثقافة ، وينقسم إلى فرعين ، فرع يختص بالدراسات الطبيعية ، وآخر بالدراسات الثقافية ، وهو يتناول بشقيه المشكلات الخاصة بالتنوع الإنساني ، ودراسة الأجناس البشرية ، واسمه هو :

الفارماكولوجيا . الباثولوجيا . الانثروبولوجيا .

★ ★ ★

هل انتهيت من حل جميع الأسئلة؟! ..

هل قرأت كل المعلومات؟! ..

ينبغي أن تدرك - أولاً - أن الغرض الرئيسي من هذا الباب هو أن تقرأ المعلومة ، وتريد بها معارفك ..

أما الغرض الثانى ، فهو أن تجيب لنفسك عن سؤالنا التقليدى .. هل أنت مثقف؟! ..

ارجع إلى الحلول فى آخر الكتاب ، وقارنها بالحلول التى وضعتها أنت ، وستعرف جواب السؤال على الفور ، فإما أن تزهو بثقافتك .. أو ...

أو تلتقى معنا فى اختبار آخر ..

وكتاب آخر .

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

كوكب
١٠٠٠



عملية صقر

الجزء الرابع والأخير

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ب. القاهرة - ١١٥٥٥٥

الفصل الثاني عشر

الجمعة : ٥ أكتوبر ١٩٧٣ م : الثالثة والنصف بعد الظهر .
٩ رمضان ١٣٩٣ هـ

★ ★ ★

دار (بن جازار) بطانرته الهليوكوبتر الحربية الإسرائيلية دورة كاملة ، فوق منزل الشيخ (عواد) ، قبل أن يلتقط جهاز الاتصال ، ويقول في دهشة مستنكرة :

- المشهد يبدو وكأنه مذبحه كاملة يا (جاكوب) .. أكثر من خمس عشرة جثة تفترش الرمال ، وسط بحيرة من الدم .. باللشيطان !! .. ما الذي فعله ذلك البدوي بالضبط !؟

أتاه صوت (جاكوب ليومي) ، رجل المخابرات الإسرائيلية ، وهو يقول في توتر :

- هل يمكنك تمييز أزياء القتلى ؟ .. هل من بينهم جنود يرتدون الزي العسكري المصري !؟

هز (بن جازار) رأسه ، وهو يقول :

- لا يمكنني الجزم من هنا يا رجل .. سأهبط لتفقد الأمر جيداً . دار مع الطانرتين التابعتين له دورة أخرى ، حول منزل الشيخ (عواد) ، قبل أن تهبط الطانرات الثلاث إلى جوار المنزل ، وغادرها (بن جازار) ورجاله ، الذين اتجهوا في حذر إلى المكان ، وأداروا عيونهم فيه ، قبل أن يهتف أحدهم :

- هؤلاء البدو الأوغاد قتلوا كل رجالنا .. اللعنة عليهم جميعاً . وعلى الرغم من بركة الدماء ، التي تسبح فيها جثث القتلى ، والمشهد الذي لا يدع مجالاً للشك في أن الجميع قد لقوا مصرعهم ،

أسندت القيادة المصرية ، إلى رجال الصاعقة الأربعة (خالد) ، و (عمرو) ، و (محمد) ، و (حسن) ، مهمة تدمير أول محطة للإنذار المبكر في قلب (سيناء) ، قبل ساعة واحدة من اندلاع حرب أكتوبر ، ولكن المهمة تعرضت لكثير من المشكلات والمتاعب ، فقد انكشف أمر الهليوكوبتر ، التي نقلتهم إلى (سيناء) ، ومات البدوي (حمدان) ، الذي كان سينتظرهم هناك ، وقامت بعمله ابنته (راوية) ، وفي نفس الوقت انتبه الإسرائيليون إلى وجود عمل مصري ما على أرض (سيناء) ، فتحركوا في تحفز وعصبية وشراسة ، واستطاعوا الإيقاع بالملازم (محمد) ، وعذبه في شدة ، للحصول على ما لديه من معلومات ، حتى انهار في النهاية ، ولكنه روى لهم قصة مختلفة ، وعندما أرادوا نقله إلى سجنهم الحربي ، تصدى لهم رفاقه ، ونجحوا في إنقاذه ، وعند عودتهم إلى منزل (راوية) فوجئت بأن الإسرائيليين قد قتلوا أمها وشقيقتها ، فانتقل الجميع إلى منزل خالها ، ولكن الدوريات الإسرائيلية الشرسة اضطرتهم للفرار إلى ما يطلق عليه اسم (العب الشرقى) ، بعد مصرع خال (راوية) وأبنائه ، ولم يكتف الإسرائيليون بهذا ، بل بدأت دوريات البحث الجوية .. وتضاعف الخطر .

فقد رفع الجندي فوهة مدفعه الآلى ، وأطلق رصاصاته فى غضب على جثث البدو ، وهو يصرخ :
- أيها الأوغاد .

مط (بن جازار) شفتيه ، دون أن يعترض ، وانتظر حتى توقف دوى الرصاصات ، وتشوهت جثث القتلى تماما ، ثم رفع يده ، قائلاً :
- فتشوا هذا المنزل ، وأشعلوا فيه النيران ، وألقوا جثث هؤلاء البدو فى قلب النيران ، واحملوا جثث قتلانا .. هيا .
اندفع الرجال فى شراسة إلى المنزل ، وراحوا يقلبونه رأساً على عقب ، حتى اكتشفوا كمية من الأسلحة والذخائر ، فقال فى حدة :
- يبدو أنهم كانوا يعدون لحرب طويلة .
هز زميله رأسه ، وقال :

- لا يمكنك فهم هؤلاء البدو أبداً .. فى لحظة يبدوون غاية فى الوداعة والاستكانة ، وعندما تبدأ فى الاطمئنان إليهم ، يباغتونك بإطلاق النار على رأسك مباشرة .

قال الأول ، وهو يحمل الأسلحة إلى الخارج :

- أفضل ما فيهم هو أنهم لا يطلقون النار على ظهرك قط .
هز الثانى كتفيه ، وقال :

- وما الفارق ؟ .. إنك تلقى مصرعك فى الحاليتين .

جمعوا كل الأسلحة والذخائر ، ونقلوها إلى طائراتهم الثلاث ، مع جثث قتلاهم ، ثم ألقى (بن جازار) نظرة طويلة على المنزل ، وراجع عمليات التفيتيش ، قبل أن يشد قامته ، ويقول فى صرامة :
- أشعلوا النيران فى المنزل .

بدأ رجاله فى إلقاء جثث البدو داخل المنزل ، تمهيداً لإشعال

النيران فى كل شيء ، فى حين راح هو يدور ببصره فى المكان ، مغمغماً :

- ولكن المفروض أننا نبحث عن بعض الجنود المصريين .
أجابه معاونه :

- هناك العديد من القتلى ، فى زى البدو ، وربما كان بعضهم من الجنود المصريين ، الذين تتكروا فى هذا الزى .
مط (بن جازار) شفتيه ، وغمغم :

- ربما .
ثم توقف بصره عند أطلال العب الشرقى ، قبل أن يستطرد :
- ولكن لو لم يكونوا كذلك ، فلا يوجد سوى مكان واحد ، يمكن للجنود المصريين أن يختبئوا فيه منا .
وأشار إلى الأطلال ، مستطرداً :
- هناك .

ودون أن يدري ، كانت سبابته تشير إلى موقع الصقور ..
وبدقة مدهشة ..

★ ★ ★

لم يكد (عمرو) يلمح الهليوكوبتر الإسرائيلية تعبر الأطلال القديمة ، حتى دفع (راوية) جانباً ، وهو يهتف :
- اختبئى .

التصقت (راوية) بالجدار ، وراحت تلهث فى انفعال ، دون أن تجرؤ على النظر إلى أعلى ، وأزيز الهليوكوبتر يكاد يصم أنيها ، فى حين انبطح (عمرو) أرضاً ، وكتم أنفاسه تقريباً ، وهو يلتصق بجدار متهدم قديم ..

وعبرت الهليوكوبتر الإسرائيلية الأطلال في سرعة ، وتبعتها طائرتان أخريان ، لم يحاول ركابها مجرد إلقاء نظرة على الأطلال ، التي بدت لهم مقفرة للغاية ، واتجهت الطائرات الثلاث مباشرة إلى منزل (عواد) ، فاعتدل (عمرو) هاتفًا :

- إنهم يبحثون عنا .

قالت متوترة :

- أو أن القتال الذي دار ، بين عائلة خالي ورجالهم ، قد بلغهم على نحو ما .

قال في انفعال :

- ربما .. تعالى نعود إلى الرفاق .

نطقها وهو يمسك يدها ، ويجذبها خلفه في سرعة ..



وارتجف جسدها كله ..

صحيح أن الموقف كله لم يكن يتناسب مع هذا ، ولكن قلبها خفق في عنف ، وهي تتطلع إلى (عمرو) من الخلف ، وتتساءل : هل أحبها حقًا؟! ..

ولكن كيف يقع في حبها ، في هذا الزمن القصير؟! ..

راودتها نفسها على أن تسأله ، ولكن الحياء والخجل منعاهما ، ثم لم تلبث مشاعرها أن انقلبت بغتة رأسًا على عقب .. كيف تفكر في أمر كهذا ، ولم يمض بعد يوم كامل ، على مصرع عائلتها كلها؟! ..

أمها .. أختها .. خالها .. أبناء خالها .. جدتها ..

وحتى (حسن) المسكين ..

كيف ترتكب مثل هذا الجرم؟! ..

سيطر عليها شعور قاس بالندم وتأنيب الضمير ، جعلها تنتزع يدها من راحة (عمرو) في حدة ، فالتفت إليها في دهشة ، وقال :

- ماذا حدث ؟

قبل أن تبحث عن جواب لسؤاله ، اندفع (محمد) نحوهما بغتة ، وهو يقول :

- أنتما بخير ؟

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وكأنما ضبطهما (محمد) في فعل فاضح ، وأشاحت بوجهها في حياء ، في حين أجابه (عمرو) في سرعة وانفعال :

- نعم .. نحن بخير .. من الواضح أن الإسرائيليين يبحثون عنا .

قال (محمد) في توتر :

- ومن الواضح أيضا أنهم لم يلمحونا ، فقد وصلوا سيرهم بنفس السرعة .

ظهر (خالد) في هذه اللحظة أيضا ، وقال :

- أعتقد أن قدومهم إلى هنا أمر محتمل ، ومن الضروري أن نعمل على إخفاء السيارة .

أسرعوا جميعا إلى حيث تركوا السيارة ، وقفز (عمرو) إلى مقعد القيادة ، وأدار محركها ، وهو يتجه بها إلى منطقة متهدمة ، تخفيها تقريبا عن الأنظار ، ثم قفز منها ، وهو يقول :

- هذا يكفي ، لو أنهم سيكتفون باستطلاع جوى .

بلغت مسامعهم أصوات الطلقات النارية ، فاعتقد حاجبا (خالد) ،

وهو يتمم :

- ما الذي يطلقون عليه النار هناك ؟

هزت (راوية) رأسها في حيرة ، وغمغت :

- لست أدري .. لقد كان الجميع قتلى ، عندما غادرنا المكان .

ثم انتابتها نوبة عصبية مبالغتها ، وهي تصرخ في وجوههم :

- وكان المفروض أن ندفنهم ، لا أن نتركهم هكذا ، لتنهش ذئب

الصحراء جثثهم .

كانت تفرغ انفعالاتها ، وعواطفها ، وشعورها العنيف بتأنيب

الضمير ، في تلك الثورة ، التي انتهت بانفجارها باكية ، فالتفت

(عمرو) إلى (خالد) ، وقال في حدة :

- إنها على حق .. كان المفروض أن ندفن الجميع ، كما فعلنا

مع جثة (حسن) ، ولست أدري بعد سر إصرارك على تركهم في العراء على هذا النحو .

أجابه (خالد) في صرامة :

- لو أنك طرحت عواطفك جانبا ، وحاولت أن تفكر بعقلك فحسب ،

لأدرت السبب على الفور .

أساء (عمرو) فهم العبارة ، وخيّل إليه أن (خالد) يلّمح إلى

عواطفه تجاه (راوية) ، ولم ينتبه إلى أن تلك العواطف مازالت

وليدة ، ولم تتجاوز أعماقه هو ، فاندفع نحو (خالد) في حدة ، وهو

يقول :

- ماذا تقصد ؟ .. هه .. ما الذي تعنيه بقولك هذا ؟

وهوى بقبضته بغتة على وجه (خالد) ، الذي فوجئ باللكمة ،

فسقط أرضا وسط الأطلال ، وصاح به غاضبا :

- هل جننت أيها الملازم ؟

صاح (عمرو) في عصبية ::

- نعم .. ويمكنك أن تحاكمني عسكريا عند عودتنا ، والآن قم

لتواجهني في شجاعة ، لو أنك رجل بحق .

قفز (خالد) وأقفا على قدميه ، ولوح بقبضتيه ، قائلا :

- فليكن .. هيا أيها الملازم .. أنت تحتاج إلى من يلقنك درسا .

صاح (محمد) مستكبرا :

- ما الذي تفعلانه ؟ .. هل فقدتما عقليكما ؟

ولكن (عمرو) انقضّ على (خالد) مرة ثانية ، وحاول أن يلكمه

في معدته ، إلا أن (خالد) دار حول نفسه في سرعة ، وركله في

صدره في قوة ، فترجع في عنف ، وصرخت (راوية) :

- كفى .. كفى .

وفي نفس الوقت ، أحاط (محمد) وسط (عمرو) بذراعيه ، وهو يقول :

- لقد أتينا إلى هنا لنقاتل الإسرائيليين ، لا لنقاتل معاً .
أعادت صيحته إليهما صوابهما ، فخفض (خالد) قبضتيه ، وهو يتمتم في ضيق :

- أنت على حق .
أما (عمرو) ، فهتف في عصبية :
- ولكنه يدعى أن عواطفى خدعتنى .. أية عواطف تلك التى يشير إليها ؟!

جلس (خالد) على صخرة كبيرة ، وهو يقول :
- أنت مصرى يا (عمرو) ، والمصريون ، بل العرب جميعاً ، لديهم حساسية خاصة تجاه الموت ، وضرورة دفن الموتى ، والعدو يعرف عنا هذه الصفة ، كما نعرف عنه اهتمامه الشديد بدفن موتاه فى الأرض التى عاشوا عليها .. ولقد فكرت فى الأمر كقائد ومسئول عن نجاح هذه العملية ، وليس كشخص عاطفى .. لقد قدرت أن ترك الجثث دون دفنها ، سيوحى للعدو بأنه قتال بين جانبيين ، قتل كل منهما الآخر ، دون أن يتبقى أحياء لدفن الجثث ، وهذا سيوقف مطاردته لنا إلى حد ما ، أما لو قمنا بدفنها ، فسيعرف العدو على الفور أننا هنا ، وسيزداد إصراره على نبش المنطقة للعثور علينا ، وهذا يتعارض مع المهمة الرئيسية ، التى تنتظر منا (مصر) كلها ، أن نجازف بأرواحنا وعواطفنا من أجل نجاحها .

سألته (راوية) :

- لماذا دفنت جثة (حسن) إذن ؟

أجابها فى حزن :

- لأنه جندى مصرى ، وملامحه لا توحى بأنه بدوى ، وسيعلمون حتماً أنه ليس إسرائيلياً ، على الرغم من الزي العسكرى الإسرائيلى الذى يرتديه .

ثم رفع عينيه إليهم ، مستطرداً فى مرارة :
- صدقونى يارفاق .. أنا أيضاً أشعر وأتألم مثلكم ، ولكننى مسئول عن نجاح عملية (صقر) ، ومن واجبى أن أسعى لهذا ، حتى لو اضطررت للضغط على أعصابى ، وقتل مشاعرى كلها .
قالها فى تأثر شديد ، فلاذوا جميعاً بالصمت ، وهم (محمد) بقول شىء ما ، عندما ارتفع فجأة أزيز طائرات الهليكوبتر الإسرائيلىة ، فهتف (خالد) :

- اختبنوا .
كانوا يتوقعون مرور الطائرات فوقهم ، ولكنهم فوجئوا بالأزيز يشير إلى هبوط الطائرات بالقرب من الأطلال ، وتناهى إلى مسامعهم صوت (بن جازار) ، وهو يقول لرجاله :

- فتشوا المكان جيداً .
هتف (عمرو) :

- رباح !.. إنهم يعتزمون تفتيش المكان على أقدامهم .
قال (محمد) فى توتر :

- سيكشفون وجودنا حتماً ، ووجود السيارة .
شعر (خالد) بالكثير من التوتر والمرارة فى أعماقه ، وتطلع فى قلق إلى السيارة ، التى اختفت إلى حد كبير بين الأطلال ، ولكن نيس

على نحو يمنع كشف أمرها ، مع تفتيش تقليدي . وانتابه شيء من الحنق في أعماقه ، وهو يتمم :

- لن يفسدوا خطتنا مرة أخرى ..
وقبل أن يدرك أحدهم ما يعنيه ، رأوه يقفز فجأة من مكانه ، وهو يحمل مدفعه الآلى ، ويتجه نحو السيارة ، فقال (عمرو) فى حدة ، على الرغم من انخفاض صوته :

- ماذا سيفعل بالضبط ؟

كان (خالد) يدفع السيارة بكتفه ، محاولاً إخفاءها أكثر وأكثر ، فتمم (محمد) ، وهو يهم بالذهاب إليه ومعاونته :

- إنه يحتاج إلى مساعدة .

ولكن (راوية) أمسكت به فى قوة ، وهى تقول :

- انتظر .. لقد ظهر بعض الإسرائيليين هناك ، وسيرونك لو غادرت مكانك هذا .

تراجع (محمد) فى سرعة ، وألقى نظرة فلقية على (خالد) ، الذى انتبه إلى مقدم الإسرائيليين ، فأسرع يختفى خلف الجدار .. وسيطرت على (محمد) موجة عارمة من القلق ..

كان يتابع حركة الجنود الإسرائيليين الثلاثة ، الذين يفتشون ذلك الجزء من الأطلال ، وأدرك على الفور أنهم يتجهون إلى حيث اختفى (خالد) والسيارة مباشرة ، وسمع أحدهم يقول لزميليه :

- هل تظنان أنه من الممكن أن يختفى آدمى ، فى هذا المكان القذر ؟

أجابه أحدهما فى حزم :

- تذكر ما لقنونا إياه يا رجل .. العدو يختفى دائماً حيث لا يمكنك أن تتوقع وجوده .
ضحك الجندى ، وقال :

- وهل المفروض ألا أتوقع وجوده هنا ؟ .. تباً لك يا رجل .. إنها منطقة صحراوية جرداء ، ولا يوجد بها مكان للاختباء سوى هذا ، ولو أننى فى موضعهم ، ما اخترت الاختباء فيه قط .

وفجأة ، صرخ الجندى الثالث ، وهو يشير إلى الجدار ، الذى يختبئ عنده (خالد) :

- ما هذا بالضبط ؟

ثم ارتفعت صرخة ألم ، أعقبها دوى نيران مدافع الإسرائيليين الثلاثة ، الذين أصابت رصاصاتهم الهدف .. وبكل دقة .

الفصل الثالث عشر

الجمعة : ٥ أكتوبر ١٩٧٣ م
٩ رمضان ١٣٩٣ هـ : الخامسة عصرًا .

نهض اللواء (حسين قدرى) ، المسنول الأول عن عملية (صقر) ، لاستقبال وزير الحربية فى مكتبه ، وقال فى لهجة عسكرية رسمية :

- مرحبًا يا سيادة الوزير .. أعذرني لأننى لم أستقبلك رسميًا ، كما تقتضى التعليمات ، فلم أكن أتوقع هذه الزيارة المفاجئة قط . صافحه وزير الدفاع ، وهو يقول :

- دعك من الرسميات أيها اللواء ، وأخبرنى : كيف تسير العملية ؟ اصطحبه اللواء (حسين) إلى منضدة كبيرة ، تحمل خريطة مجسمة لمسرح العملية ، وقال وهو يشير إلى نقطة بعيدة :

- آخر ما لدينا من أخبار يقول : إن الإسرائيليين قد شنوا هجومًا عنيفًا على منزل الشيخ (عواد) ، وقتلوه مع كل أبنائه وأمه ، ولقد خسرنا أحد الصقور .

عقد الوزير حاجبيه ، وسأله فى ضيق :

- من منهم ؟

أجابه اللواء (حسين) :

- الجندي (حسن عبد العليم) .. لقد استشهد فى هذا القتال ، ولكن الباقين نجحوا فى الفرار ، ومعهم سيارة (جيب) ، وهم يختبئون الآن ، فى انتظار التنفيذ .

قال الوزير ، وصوته يحمل توترًا واضحًا :

- ألا يهدد هذا العملية بالفشل ؟

هز اللواء (حسين) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلاً يا سيدى ، فلقد وضعنا خطتنا بكل إحكام ، وافترضنا فيها أننا سنخسر أحد الأفراد ، قبل بدء التنفيذ الفعلى ، وهناك خطة بديلة ، تحتاج إلى ثلاثة أفراد فحسب ، وهى ما سيقوم الرجال بتنفيذها على الفور .

تنهد الوزير ، وبدا المزيد من التوتر على وجهه ، وهو يقول :

- الواقع أننى أشعر بالقلق أيها اللواء ، وكثيرًا ما أعاتب نفسى ،

على أننا أرسلناهم إلى أرض المعركة مبكرًا .

قلب اللواء (حسين) كفه ، وهو يقول :

- لم يكن أمامنا سوى أن نفعل هذا يا سيدى ، فتقارير الأرصاد ،

وتطورات القمر المستمرة ، لم تكن تمنحنا سوى فرصة واحدة للعبور

بهم بوساطة الهليوكوبتر ، إلى منطقة الإنزال فى (سيناء) ، وبعدها

كانت السماء ستخلو من الغيوم ، ويكبر حجم القمر ، ويتعذر علينا

نقلهم إلى مسرح العمليات تمامًا .

تنهد الوزير مرة أخرى ، وقال :

- قدر الله ، وما شاء فعل .

ثم رفع عينيه ، إلى اللواء (حسين) ، مستطردًا :

- هذه العملية بالغة الأهمية والخطورة أيها اللواء ، والرتيس

يتابعها شخصيًا .

ارتسمت على شفتى اللواء (حسين) ابتسامة واثقة

- اطمئن يا سيادة الوزير ، سيؤدي رجالنا المهمة بإذن الله ..
وبكل نجاح .
وعلى الرغم من صوته وابتسامته ، اللتين لا تفتقران إلى الثقة ،
كان هناك قلق رهيب يكاد يعصف بنفسه من الداخل ..
قلق بلا حدود ..

★ ★ ★

انتفض جسد (بن جازار) ، عندما تنهت إلى مسامعه دوى
الرصاصات ، وصاح بـرجاله :
- أسرعوا لنجدة زملائكم .
اندفع الجميع بأسلحتهم إلى حيث رفاقهم ، وتبعهم (بن جازار)
في توتر ، ولكنه لم يكذب يبلغ المكان ، حتى هتف :
- ماذا حدث ؟

كان اثنان من الجنود يحملان زميلهما الثالث ، في حين سألت
على الجدار بقعة كبيرة من الدماء ، وأجابه أحد الجنديين :
- إنها الثعابين .. ثلاثة أو أربعة منها في آن واحد .. لقد لدغ
أحد الثعابين (افرام) ، وشاهدنا ثعبانين آخرين على الجدار ، فأطلقنا
النار عليهما ، وقتلنا ذلك الذي لدغ زميلنا ، ولكن الرابع أفلت منا .
وهتف الجندي الثاني :

- إنه يحتاج إلى مصل واق على الفور .

أشار (بن جازار) بيده ، هاتفا :

- احملاه بسرعة إلى الهنيوكوبتر .

سأله أحد الرجال ، وهو يشير إلى المكان :

- هل نواصل التفتيش ؟



صاح به :

- هنا .. إنه وكر للثعابين والعقارب يا رجل .. أى مجنون هذا ،
الذى يفكر فى الاختباء فيه !؟

انطلقوا مسرعين لنجدة زميلهم المصاب ، ولم تمض دقيقة
واحدة ، حتى كانت طائرات الهليكوبتر الإسرائيلية الثلاث تبتعد ،
فهتف (عمرو) :

- نجونا يا رفاق .

أسرع الثلاثة نحو (خالد) ، الذى تنفس الصعداء ، وهو يقول :

- حمدا لله .. تصورت لحظة أنهم لمحونى ، وأن رصاصاتهم هذه

تنطلق نحوى .

ربت (عمرو) على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

- اطمئن يا رجل .. ما كنا لنسمح لهم أن يمستوك بسوء .

ابتسم (خالد) ، وهو يتطلع إليه ، قائلاً :

- أعلم هذا .. أعلم أنه هناك رجال يحمون ظهري .

التقت عينا كل منهما بعيني الآخر لحظة ، ثم تعانقا بغتة ،

و (عمرو) يقول :

- اغفر لى ما فعلته معك .

ربت (خالد) على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

- لا عتاب بين الأصدقاء .

كان الموقف مؤثراً ، حتى أن الدموع ترقرت فى عيني

(راوية) ، وكادت تفلت من عيني (محمد) ، فقال بسرعة ، ليغير

طبيعة الموقف :

- هل تعتقدون أنهم سيعودون مرة أخرى ؟

هز (خالد) رأسه ، وقال :

- لا .. لست أعتقد هذا .

ثم جلس فوق صخرة قريبة ، مستطرذا :

- والآن دعونا نراجع خطة العملية .

سألته (راوية) :

- أمازلت تصر على عدم مشاركتى لكم ؟

تطلع إليها لحظة ، ثم قال مشفقاً :

- (راوية) .. هذه العملية بالغة الخطورة .

قالت فى سرعة :

- أعلم هذا .

التقط نفساً عميقاً ، وقال :

- هل تعلمين ما الذى يمكن أن نواجهه هناك ؟ .. إننا سنقتحم محطة

إنذار مبكر ، لا نعلم عنها إلا تركيباتها الخارجية ، ولكننا نجهل تماماً

ما الذى يمكن أن يواجهنا داخلها ، ومن المحتمل أن نلقى جميعاً

مصرعنا هناك .

قالت فى إصرار :

- هذا لا يهمنى .

أجابها فى صرامة :

- ولكنه يهمنى أنا .. أنا المسنول عن نجاح أو فشل العملية .

ترقرقت الدموع فى عينيها مرة أخرى ، وهى تقول :

- وهل تعتقد أنك تسعى لصالحى ، عندما تبقى على حياتى ؟ ..
خطأ يا سيادة النقيب .. لقد خسرت فى يومين فحسب عائلتى كلها ،

وأصبحت وحيدة هنا ، فى أرض محتلة .. هل تدرك ما الذى يمكن أن تواجهه فتاة وحيدة ، فى مثل هذه الظروف ؟
انفجرت شفتاه ، وبدا لحظة وكأنه سيقول شيئاً ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه مرة أخرى ، ولاذ بالصمت ، وهى تتابع فى مرارة :
- إننى أحتسى بكم .. ألا تفهمون هذا ؟ .. لم يعد لى سواكم ، وأنتم تحتاجون لى ، حتى تكتمل خطتكم .. لقد فقدتم (حسن) ، وسأحل محله .
قال بصوت خافت ، فقد الكثير من صرامته :

- هناك خطة بديلة ، تحتاج إلى ثلاثة أفراد فحسب ، وسنعمل على تنفيذها .. سنلغى دور المراقب الخارجى ، ونهبط جميعاً إلى المحطة .
قال (محمد) بغتة :

- ولماذا لا نتضم (راوية) إلينا ؟

التفت إليه (خالد) فى صرامة ، ولكنه تابع دون أن يتوقف :
- إنها تستطيع انتحال شخصية سكرتيرة عسكرية بالفعل ، وفى هذه الحالة لن نحتاج إلى الخطة البديلة ، وسنقوم بتنفيذ الخطة الأصلية .. ستبقى أنت فى السيارة ، لمراقبة الحراس وطاقم الأمن ، فى حين أهبط أنا و (عمرو) وهى إلى المحطة .. هذا يبدو لى مثالياً .
قال (خالد) فى حزم :

- ولكنها لا تمتلك الزى أو الأوراق اللازمة .

هتفت (راوية) :

- من قال هذا .. لقد استخرج لى والدى بطاقة عسكرية سليمة ، باسم (بولينا ياكوف) ، وأنا أخفى زى سكرتيرة عسكرية فى مخبأ سرى ، فى منزلنا .

تطلع إليها (عمرو) فى دهشة ، ثم ضحك قائلاً :
- هل كنت تتوقعين هذا ؟
قالت فى حماس :

- بل كنت أحلم بحدوثه .
ثم التفتت إلى (خالد) ، مستطردة فى لهجة أقرب إلى الرجاء :
- والآن ما رأيك ؟

قبل أن يفتح شفتيه ليجيب ، قال (عمرو) :
- أنا أوافق على انضمامها إلينا .
وأضاف (محمد) :

- وأنا أرى أن هذا ضرورى .

صمت (خالد) لحظات ، وبدأت على وجهه دلائل التفكير العميق ، ثم تطلع إلى (راوية) ، وقال :

- أعتقد أن أفضل مكان يمكننا أن نقضى فيه ليلتنا ، هو منزلكم يا (راوية) ؟ فلن يفكر الإسرائيليون فى العودة إليه مرة أخرى ، كما أنك ستحضرين أوراقك وزيك العسكرى من هناك .

تهللت أساريرها ، وهى تهتف :

- هل يعنى هذا أنك قد وافقت ؟

وثب نحوها بغتة ، ودفعا جانباً ، وهو يقول :

- احترسى .

ثم استل خنجره ، وهو يضغط بحدانه الثقيل على عنق ثعبان ضخم ، قبل أن يفصل عنقه بضربة سريعة من خنجره ، ثم حملة وهو يقول :

- أتمنى لو علمت سر عصبيتك هذه يا (جاكوب) .. إنها أول مرة تتعامل فيها مع موقف ما ، بكل هذه الحساسية !.. ماذا أصابك يا رجل ؟ زفر (جاكوب) في توتر ، وقال :

- الموقف كله لا يروق لى هذه المرة ، وأشعر أن المصريين يدبرون أمرا خطيرا ، يفوق كل عملياتهم السابقة . ضحك (بن جازار) ، وهو يقول :

- تشعر !؟ .. أه لو سمعك مدير المخابرات أو وزير الدفاع ، وأنت تتطق هذه الكلمة !.. إنك ضابط مخابرات يا رجل ، ورجال المخابرات لا يتحركون وفقا لمشاعرهم ، بل يتبعون الحقائق المجردة وحدها .. ماذا دهاك ؟.. هل تحتاج منى إلى أن أعلمك هذا ؟ التفت إليه (جاكوب) ، وقال في حدة :

- قل لى يا رجل : هل يبدو لك الأمر عاديا أو مألوفاً ؟ هليوكوبتر مصرية خالية ، تصطدم عمداً بواحدة من طائرتنا ، وضابط مصرى نلقى القبض عليه هنا ، ثم يفلت بهجوم انتحارى عجيب ، وبعدها يقاتل أحد شيوخ البدو مع أبنائه رجالنا ، فى سابقة ليس لها مثيل .. ألا يعنى هذا أنه هناك خطر ما على الأبواب ؟

قال (بن جازار) فى سخرية :
- وما الخطر الذى تتوقعه ؟.. أن يقتحم المصريون خط (بارليف) ..

عقد (جاكوب) حاجبيه ، وهو يقول :
- أنت تعلم أن هذا مستحيل !.. إننى أفكر فى عملية استنزافية أخرى .



- من حسن حظنا أن أتى هذا الثعبان إلينا .
كان الجميع يتطلعون إليه فى دهشة ، ثم هتفت (راوية) :
- من حسن حظنا !؟

ارتسمت على شفثيه ابتسامة ، وهو يقول :
- إننا لن نقضى اليوم كله بلا غداء .. أليس كذلك ؟

★ ★ ★

مالى الشمس للمغرب ، على أرض (سيناء) ، معلنة نهاية يوم آخر من الاحتلال الإسرائيلى ، وراقب (جاكوب ليومى) احتضارها فى بطء ، قبل أن يتمم فى شىء من الحنق الممزوج بالغضب :
- إذن فأنتم لم تعثروا عليهم .

ابتسم (بن جازار) ، وهو يصب لنفسه كأسا من الخمر ، ورفعها إلى شفثيه ليتذوقها ، وهو يقول :

هتف (بن جازار) :

- اطمئن يا رجل .. نحن بعيدون تمامًا عن خطوط حرب الاستنزاف هذه ، ثم إن المصريين لا يضربون كثيرًا ، والأهم من هذا .. هل توحى لك تقارير المخابرات باحتمال حدوث شيء ما ؟

هزَّ (جاكوب) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- مطلقًا .. إنها كلها - على العكس - تؤكد أن كل شيء هادئ تمامًا ، وأنه من غير المتوقع أن تخطر فكرة الحرب على أذهان المصريين ، قبل عشرة أعوام على الأقل .

صبَّ (بن جازار) كأسين من الخمر هذه المرة ، وهو يهتف :

- عظيم .. ما الداعي إلى القلق إذن ؟

وناول أحد الكأسين إلى (جاكوب) ، مستطرذا :

- خذ يا رجل .. دعنا نحصل على قدر من الراحة ، وعلى بعض الخمر الجيد .

التقط (جاكوب) الكأس ، وهو يقول في شرود :

- ألا ترى أنه من الضروري أن أرسل تقريرًا بكل مخاوفي إلى الرؤساء ؟

هتف (بن جازار) :

- في هذا الوقت بالذات؟! .. ستكون أسخف حركة قمت بها في حياتك كلها يا رجل ؛ فلن يروق لهم أبدًا أن تزعجهم في عيد الغفران (كيبور) .. هيا يا رجل .. ارتشف كأسك ، ودعنا نحلم باحتفالات العيد غدًا .. هيا .

غمغم (جاكوب) :

- أنت على حق .

ثم جرع كأسه دفعة واحدة ..

وحتى الشعلة .



الفصل الرابع عشر

السبت : ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م : الخامسة والنصف صباحاً .
١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ

★ ★ ★

اجتاز رئيس الجمهورية باب مركز قيادة المعركة ، مرتدياً زيه العسكري ، وحاملاً على كتفيه رتبة القائد الأعلى للقوات المسلحة ، ونهض جميع القادة وكبار الضباط لاستقباله ، وقد ارتسم الأمل والحماس على وجوههم ، فصافحهم الرئيس واحداً فواحداً ، وسألهم في اهتمام :

- هل كل شيء على ما يرام ؟

أجابوه في ثقة :

- اطمئن يا سيادة الرئيس .

وتبادلوا معه حديثاً قصيراً ، قبل أن يتفرقوا ، ويحتل كل منهم موقعه ، في غرفة العمليات المركزية ، وخلع الرئيس غطاء رأسه العسكري ، ووضع أمامه على المائدة ، وهو يشعل غليونه ، ويسأل وزير الحربية :

- كيف الحال في (سوريا) ؟

أجابه وزير الحربية في هدوء :

- كل شيء يسير وفقاً للخطة يا سيادة الرئيس ، وهناك تنسيق

تام بيننا وبينهم ، وسيتم الهجوم الشامل في مواعده بإذن الله .

أوماً الرئيس برأسه متفهماً ، وهو ينفث دخان غليونه ، ويغمغم :

- عظيم .. عظيم .

ثم سأل في اهتمام شديد :

- وما أخبار عملية (صقر) ؟

أجابه الوزير :

- كن مطمئناً يا سيادة الرئيس .. سينفذ رجالنا مهمتهم ، حتى ولو

اضطروا لمقاتلة نصف الجيش الإسرائيلي .

أوماً الرئيس مرة أخرى ، وقال :

- لقد قرأت تقاريرهم الشخصية ، وهم بالفعل من طراز ممتاز ،

ولكن النتائج ستختلف كثيراً لو فشلوا .

قال الوزير :

- لن يفشلوا بإذن الله يا سيادة الرئيس .

سأله الرئيس :

- وأين ينبغي أن يكونوا ، في هذه اللحظة ؟

ألقي الوزير نظرة على ساعته ، وقال :

- إنهم لم يبدؤوا تحركاتهم بعد ، ولكن في تمام الحادية عشرة

سيكونون هنا بإذن الله .

قالها وهو يشير إلى نقطة محدودة على الخريطة الكبيرة ، التي

ترسم مسرح العمليات كله ..

وبكل ثقة ..

★ ★ ★

كل شيء يشبه التنريبات تماماً يارقاق ..

نطق النقيب (خالد) هذه العبارة ، وهو مستلق على الرمال ، فوق

تبة تبعد كيلومتراً واحداً عن المحطة (عاين) ، ومنظاره المقرب فوق

عينيه ، يدرس به أرض المعركة ، ثم لم يلبث أن ناوله للملازم أول (عمرو) ، مستطرذا :

- لقد صنع رجالنا نمونجا مطابقا للغاية .

وضع (عمرو) المنظار على عينيه ، وتطلع إلى المحطة ، وإلى برج الإرسال المرتفع ، والديابيتين ، والمباني الثلاثة الصغيرة ، وسور الأسلاك الشائكة ، وجنود الأمن والحراسة ، قبل أن يتمم :
- نعم .. لقد صنعوه بدقة بالغة ، حتى أنني أشعر وكأنني كنت هنا من قبل .

نهض الاثنان في حزم ، ونفضا الرمال عن ثيابهما العسكرية الإسرائيلية ، ثم ألقى (خالد) نظرة على ساعته ، وقال :
- فلنبداً على بركة الله .

كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة بالضبط ، وكان الجميع يقفون في نفس النقطة ، التي أشار إليها الوزير ، ولقد احتل كل منهم موقعه داخل السيارة (الجيب) ، فجلس (محمد) خلف عجلة قيادتها ، وإلى جواره (عمرو) ، وخلفهما (خالد) و (راوية) ، وتمتم (خالد) ، في صوت لم ينجح في إخفاء نبرة الانفعال فيه :
- هيا .

قرأ (محمد) بعض الآيات القرآنية في أعماقه ، وتحركت لها شفتاه ، ثم أدار محرك السيارة ، وانطلق متجاوزاً التبة الرملية ، في طريقه إلى المحطة ..

وران على السيارة صمت تام ، لا يقطعه سوى هدير محركها الخشن ..

وسبح (خالد) مع أفكاره ، وهو يتذكر زوجته الشابة ، التي لم يمض بعد عام كامل على زواجه منها ، والتي تنتظر مولودهما الأول ، خلال أسابيع قليلة ، وتساءل في نفسه : هل سيمكنه رؤيتها مرة أخرى ؟ .. وهل من المقدر له أن يرى ابنه أو ابنته منها ..

أما (عمرو) ، فقد سبحت أفكاره بعيداً ، وتركزت كلها حول (راوية) .. عندما أسندوا إليه العملية ، لم يكن يفكر كثيراً في خروجه منها حياً ، أو عدم خروجه على الإطلاق ، أما الآن ، فهو يتمنى لو نجحت العملية ، ونجا هو و (راوية) ، حتى يتزوجها ، وينعم بقربها ما بقي لهما من عمر ..

(محمد) وحده كان يفكر في (حسن) ..

كان يشعر بالحزن ؛ لأن القدر لم يمهلها ، حتى يشارك في العملية ، التي امتلأت نفسه بالحماس من أجلها ..
وفجأة ، انتزعهم من أفكارهم أزيز مخيف ، خفقت له قلوبهم في صدورهم ..

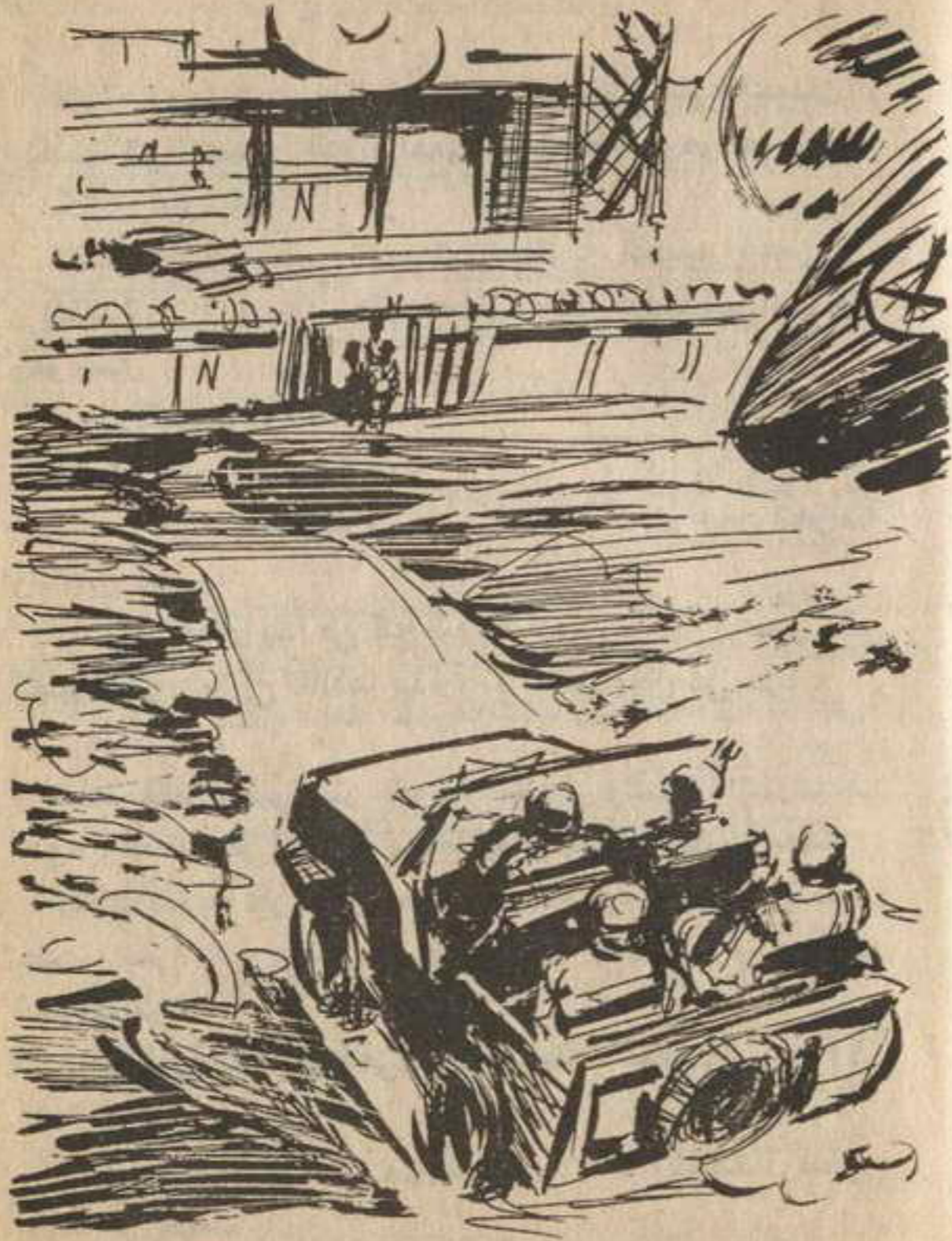
أزيز مروحة هليوكوبتر عسكرية إسرائيلية ، برزت بغتة من خلف تل قريب ، واتجهت نحوهم مباشرة ..

وهتفت (راوية) :

- لقد رأونا .. ماذا نفعل !؟

أجابها (خالد) في حزم :

- لا شيء .. واصلوا طريقكم وكأن شيئاً لم يحدث ، ولوحووا بأيديكم لقائد الطائرة ، وارسموا ابتسامة كبيرة على وجوهكم ، وسيظن أنكم بعض رفاقه ، في الجيش الإسرائيلي .



فعلوا ما أشار به (خالد) بالضبط ، ولكن الطيار الإسرائيلي راح يحوم فوقهم في شك ، وهو يراجع جدول التحركات لديه ، ثم لم يلبث أن تبعهم في حذر ، وكأنه يرغب في التيقن من وجهتهم ..

وفي توتر ، قال (عمرو) :

- هذا الوغد يتبعنا في إصرار .

أجابه (خالد) في حسم :

- لا تلتفت إليه .. واصل طريقك نحو المحطة يا (محمد) ، ولا تبد

أي تردد .

أطاعه (محمد) ، وواصل انطلاقته على نحو يوحى بالثقة ،

والهليوكوبتر تتبعهم عن قرب ، حتى بلغوا بوابة المحطة ، فأشار

إليهم أحد الجنديين ، اللذين يقفان لحراستها ، وتوقف (محمد) أمامه

مباشرة ، فألقى الجندي نظرة على الطائرة ، ثم أشار إلى لافتة

تجاوره ، كتب عليها «شيتح سبور» ، وهي كلمة عبرية ، تعنى أنها

منطقة محرمة ، فقال (عمرو) في صرامة ، وبلغة عبرية سليمة :

- سريكا(*) .. وكلمة السر (شالوم) .

عقد الجندي حاجبيه ، وسأل :

- هل تحملون أمرا بهذا ؟

أشار (عمرو) إلى (محمد) ، وهو يقول :

- أنا رف سيرين(**) (إياهو بن عسار) .. مراقب عسكري ،

والمفروض أن أقوم بمراجعة وسائل الأمن في المحطة اليوم .. ألم

تصلكم الأوامر بعد ؟

(*) سريكا : حملة تفتيش باللغة العبرية .

(**) رف سيرين : راند باللغة العبرية .

قالها و (محمد) يخرج كل الأوراق ، التي تركها الشيخ (حمدان) ،
ويقدمها إلى الجندي ، الذي راجعها في اهتمام ، وهو يغمغم :
- لا .. ليس بعد .

كانت الأوراق تضم الهويات العسكرية للجميع (عمرو) ،
و (خالد) ، و (راوية) ، و (محمد) ، ولقد أعادها لهم الجندي ،
وهو يسأل :

- هل الهليوكوبتر تتبعكم ؟

أجابه (عمرو) دون تردد :

- نعم .. ولكنها ستصرف فور دخولنا .. إنه نوع من الحراسة

والتأمين فحسب .

ولم يكد الجندي يبدأ في فتح البوابة ، حتى استدار (عمرو) إلى

الهليوكوبتر ، ولوح لقائدها بيده ، ثم اعتدل وقال في حزم :

- هيا .

شاهد قائد الهليوكوبتر البوابة تنفتح ، والسيارة تعبرها في

هدوء ، فاستدار في ارتياح ، وابتعد ليكمل جولته التفتيشية مطمئناً ..

وكانت ضربة قدرية غير محسوبة ، فوجود الهليوكوبتر طمأن

جندي الحراسة ، وسماح الجندي لهم بالدخول أراح قائد

الهليوكوبتر ..

وعندما توقفت السيارة في ساحة المحطة ، غمغمت (راوية) في

انفعال :

- هل رأيتم ما حدث ؟ .. من الواضح أن الله (سبحانه وتعالى)

يؤيدنا في مهمتنا .

غمغم (محمد) :

- الله (سبحانه وتعالى) يؤيد بنصره كل من يقاتلون في سبيل
الحق .

أوماً (عمرو) برأسه موافقاً ، في حين أدار (خالد) عينيه في

المكان بسرعة ، وتوقف بصره عند المبنى المستقل ، الذي يتكوّن

من طابق واحد ، ويحمل لافتة صغيرة كتبت عليها : «مشترا

تسفنيت» (*) ، وغمغم :

- هناك أربعة من جنود الشرطة العسكرية .

أجابه (عمرو) ، وهو يغادر السيارة :

- أضف إلى هذا الجنديين ، اللذين يحرسان البوابة ، وذلك الذي

يقف عند المصعد ، وطاقمي الدبابتين ، يكون المجموع خمسة عشر

رجلاً .. هل يمكنك أن تواجه كل هذا العدد وحدك ؟

قال (خالد) في صرامة :

- تحرك وفقاً للخطة ، ولا تقلق نفسك بشأني .

هز (عمرو) كتفيه ، وأشار إلى (محمد) و (راوية) ، قائلاً :

- اصحباني .

بقى (خالد) في السيارة ، في حين اتجه الثلاثة إلى باب صغير ،

يتوسط المبنىين ، عند قاعدة برج المراقبة ، وأشار (عمرو) إلى

حارسه ، قائلاً :

- خذنا إلى قائدك .

(*) مشترا تسفنيت : الشرطة العسكرية باللغة العبرية .

وبدأت (راوية) تشعر بالتوتر ، والمصعد يهبط بهم إلى عمق ستة أمتار ، تحت سطح الأرض ، وتحول توترها هذا إلى عصبية شديدة ، عندما فتح باب المصعد في الطابق السفلي ، وبدأ أمامهم معرطويل ، يبلغ العشرين متراً تقريباً ، توزعت على جانبيه ثمان حجرات مغلقة ، وتألفت في سقفه الأضواء على نحو جيد ..

وقادهم جندي المصعد إلى الحجرة الأخيرة ، التي تحمل لافتة باسم قائد المحطة (بنيامين جولهي) ، وطرق بابها في احترام ، ثم ولجها في خفة ، وغاب داخلها لحظات ، ثم خرج يقول :

- سيقابلك القائد على الفور يا سيدي ..

أشار (عمرو) إلى (محمد) و (راوية) ، وقال في صرامة عسكرية :

- انتظراني هنا .

ودلف إلى الحجرة في سرعة ، وأغلق بابها خلفه ..

وداخل الحجرة ، نهض قائد المحطة يستقبله ، وهو يسأله :

- ثرى ما سر هذا التفتيش المفاجئ أيها الرائد .

هز (عمرو) رأسه نفياً ، وقال بابتسامة باهتة :

- الواقع أنه ليس لدى أدنى فكرة يا سيدي .. إننى أتلقى الأوامر ،

وأسعى لتنفيذها فحسب ، و ...

دق القائد سطح مكتبه بغتة في غضب ، وهو يصيح :

- كفى :

توقف (عمرو) على الفور ، وتساءل في قلق عن سر غضب

وعصبية قائد المحطة ، ثم لم يلبث قلقه هذا أن تحول إلى توتر شديد ،

عندما رمقه القائد بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- كف عن هذه المهاترات السخيفة ، وأخبرنى بالحقيقة .
ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته مرة أخرى ، صارخاً :
- أريد الحقيقة .



ازدرد (عمرو) لعابه في صعوبة ، وهو يقول :

- أية حقيقة يا سيدي ؟

لوح الضابط بذراعه كلها ، وهو يقول في حدة :

- حقيقة ما يسعى إليه هؤلاء الأوغاد ، فى إدارة التفتيش

المركزية .. هل فقدوا ثقتهم بقدرتى على إدارة المكان ، أم أنهم

يبحثون عن مبرر للإطاحة بى؟! .. إنها المرة الثالثة التى يجرون

فيها التفتيش على محطتى هذه .. ألم يجدوا سوى عيد الغفران ،

لإتخامى بتفتيش جديد ، ليس له ما يبرره؟!!

تنفس (عمرو) الصعداء ، وتظاهر بالتعاطف مع قائد المحطة ، وهو يهز كتفيه ، قائلاً :
- أنت تعرف تعنتهم هناك يا سيدى .. أنا أيضاً أكره أن أعمل فى عيد (كيبور) ، ولكنها الأوامر .

مطَّ القائد شفتيه فى غضب صارم ، ثم ألقى جسده الضخم على مقعده ، ولوَّح بذراعه كلها مرة أخرى ، وهو يقول :
- فليكن .. لو أنك تصرَّ على العمل فى يوم العيد ، فهذا شأنك .. المحطة كلها أمامك .. أذْ عملك كما يحلو لك ، ولكننى لن أغادر مكتبى قط .

حاول (عمرو) أن يمنع الابتسامة من التالى على شفتيه ، وهو يقول :

- كما تأمر يا سيدى .

وأدى التحية العسكرية الإسرائيلية ، ثم غادر الحجرة ، وقال لزميليه :

- هيا .. سنبدأ عملية التفتيش .

أما قائد المحطة ، فقد عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يغمغم :
- (جاكوب) اللعين .. أراهن أنه خلف هذا .

ثم التقط سماعة الهاتف الداخلى ، وضغط اثنين من أزراره ، قبل أن يقول :

- أنا (جوهلى) يا (بانيل) .. اتصل بذلك الوغد (جاكوب) ..

نعم .. (جاكوب ليومى) ، وقل له : إننى سبأنتقم منه لما فعله ، ولو أنه أرسل فريق تفتيش آخر ، فى أحد أيام الأعياد ، فسأذهب إليه ،

وأطلق النار على رأسه مباشرة .. انقل إليه الرسالة كما أبلغتك إياها بالضبط .. هل تفهم ؟
وأنهى الاتصال فى حدة ، وأشعل سيجارته ، وراح ينفث دخانها فى غضب ..

★ ★ ★

ارتفع حاجبا (جاكوب ليومى) فى دهشة ، عندما استقبل الرسالة ، وغمغم فى حيرة :

- فريق تفتيش آخر؟! .. أى فريق تفتيش هذا ؟

عقد حاجبيه فى شدة ، فى محاولة لتذكر أى شىء يتعلّق بهذا القول ، ثم نهض إلى مكتبه ، وراجع جداول العمل ، التى وصلته مؤخراً ، وقال لنفسه :

- ماذا أصاب (جوهلى) المخبول هذا؟! .. أى فريق تفتيش ذلك ، الذى يختار يوم العيد بالذات ، ليتحمّل مشقة التفتيش على محطة فى قلب الصحراء؟!!

دارت الفكرة كلها فى ذهنه ، وكان يلقي الحديث كله خلف ظهره ، عندما برزت فى رأسه بغتة عدة أحداث ، بدءاً من الهليوكوبتر المصرية ، التى تحطمت فى قلب (سيناء) ، وحتى معركة عائلة (عواد) مع فريق التفتيش ، و ...

وفجأة ، قفز (جاكوب) من مكانه ، وهو يصرخ :

- المصريون .

ثم انقض على هاتفه ، وضغط أزراره فى سرعة ، وهتف :

- أريد طائرة هليوكوبتر على الفور .. لا يهمنى أى طيار تحضره

لقيادتها .. أحضر الهليوكوبتر وساقودها بنفسى .. المهم أن تصلنى فى أسرع وقت ممكن ، وأرسل إشارة عاجلة إلى المحطة (عين) ،
وقل لهم :

- إن فريق التفتيش لديهم زائف .. هل تفهم ؟.. زائف .
وأنهى الاتصال فى عنف ، وقفز يرتدى زيهِ العسكرى ، ثم ألقى
نظرة على ساعة يده ، وهتف :

- كل ما أرجوه هو أن أصل فى الوقت المناسب .
كانت عقارب ساعته تشير إلى الثانية عشرة ظهرًا ، ولكن المشكلة
هى أنه لا يعلم ما هو الوقت المناسب ..
لا يعلم أى شىء عنه ..

★ ★ ★

قالت (راوية) فى شىء من التوتر ، وهى تتوقف مع (عمرو)
و (محمد) ، أمام حجرة الاتصالات :
- أظن أنه من المفروض أن ننسف هذه الحجرة بالذات .
أجابها (عمرو) :

- لو أننا استطعنا الوصول إلى الكابلات الرئيسية ونسفها ، لن
تكون هناك أية أهمية للمحطة كلها ، بما فى ذلك حجرة الاتصالات .
تمتم (محمد) :

- السؤال إذن هو : أين الكابلات الرئيسية ؟
دفع (عمرو) باب حجرة الاتصالات ، وهو يقول :
- دعنا نلق عليهم السؤال مباشرة .

ولم يكد الجنود الأربعة فى حجرة الاتصالات يلمحونه ، حتى هبوا

واقفين ، وأدوا التحية العسكرية فى احترام ، فأشار إليهم (عمرو) ،
قائلًا :

- عودوا إلى عملكم .. إنه تفتيش روتينى .
عاد كل منهم إلى عمله ، وتظاهر هو بمراجعة التقارير ، وهو
يقول :

- لقد اضطررت لتوقيع الجزاءات على بعض زملائكم ، فى
الحجرات الأخرى ، وأرجو ألا أضطر إلى هذا هنا .
ازدرد الجنود لعابهم فى صعوبة ، وغمغم أحدهم :

- إتنا نؤدى عملنا يا سيدى .
أشار إليه (عمرو) ، وهو يقول فى صرامة :

- لماذا لا ترتدى رتبتك ؟
ارتبك الجندى ، وهو يغمغم :
- معذرة يا سيدى .. إنه عيد الغفران ، ولم تكن نتوقع هذا التفتيش
فى الواقع ، و ...

قاطعته (عمرو) فى صرامة :
- ينبغى أن تتوقع التفتيش فى أية لحظة يارجل .
تمتم الجندى منكمشًا :

- بالطبع يا سيدى .. بالطبع .
مط (عمرو) شفتيه ، وكان هذا لا يرضيه ، وأشار إلى الجدران ،
قائلًا فى امتعاص :

- مازال هناك قصور فى الإجراءات الأمنية ، فوجود الكابلات
الرئيسية خلف الجدران ، يجعلها معرضة لارتفاع درجات الحرارة .



اعتدل جندي آخر ، وقال :

- ولكن الكابلات الرئيسية ليست خلف الجدار يا سيدي .. إنها تمر عبر فتحة التهوية الرئيسية ، تحسباً لهذا بالتحديد .

برقت عينا (عمرو) ، وهو يردد :

- تمر عبر فتحة التهوية الرئيسية؟! .. أتقصد تلك الموجودة في أقصى شمال المحطة؟!

هزّ الجندي رأسه نفياً ، وقال :

- بل تمر بحجرة القائد مباشرة يا سيدي .

تبادل (محمد) و (راوية) نظرة سريعة ، شفت عما يعمل في أعماق كل منهما من انفعالات ، في حين اعتدل (عمرو) في ارتياح واضح ، وهو يغمغم :

- آه .. هذا صحيح .. كيف نسيت موقعها؟!

لم يكذب يتم عبارته ، حتى أصدر جهاز الاتصال أزيزاً خافتاً ، ثم بدأت طابعة الورق في العمل ، لتنتقل رسالة خاصة إلى القاعدة ، وفي حركة غريزية ، أدار (محمد) عينيه إلى الورقة ، وقرأ فوقها رسالة تقول :

- من القيادة العامة إلى المحطة (عاين) .. تحذير .. فريق التفتيش الموجود لديكم زائف .. نكرر .. فريق التفتيش زائف .. ، ولم ينتظر (محمد) حتى يقرأ التوقيع على الرسالة ، فقد رأى عيني الجندي الذي استقبلها تتسعان في هلع ، فهوى على مؤخرة عنقه بغتة بضربة عنيفة ، ثم وثب يركل الثاني في فكه ، وهتف الثالث في ذهول :

- ماذا تفعل يا رف توراي؟ (*)

أما الرابع فقد انتزع مسدسه بسرعة ، وهو يهتف :
- خيانة .

ولكن (عمرو) ركل المسدس من يده ، ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، جعلته يرتطم بأجهزة اللاسلكى ، ثم يسقط أرضاً ، فى نفس اللحظة التى انتزعت فيها (راوية) مسدسها ، وصوبته إلى الجندى الأخير ، ولكن (عمرو) هتف بها :

- لا تطلقى النار .

ومع آخر حروف كلماته ، غاصت قبضة (محمد) فى معدة الجندى ، ثم تراجعت وقفزت تحطم فكه ، فهوى إلى جوار زملائه ، وهتفت (راوية) :

- لماذا فعلت هذا ؟

انتزع (محمد) الرسالة من الطابعة ، ووضعها أمامها ، قائلاً :
- لقد كشفوا أمرنا .

شحب وجهها فى شدة ، فى حين هتف (عمرو) :
- رباہ !.. هذا يعنى أنه من الضرورى أن نتحرك فى سرعة .
قال (محمد) :

- لابد من الوصول إلى حجرة القائد ، ومنها إلى ممر التهوية الرئيسى ، حتى يمكننا نسف الكابلات ، وتعطيل عمل المحطة فى الوقت المناسب .

انحنى (عمرو) يقيد الجنود الأربعة ، وهو يغمغم :
- ينبغى أن نتحرك فى سرعة .

(*) رف توراي : عريف باللغة العبرية .

وسألت (راوية) (محمد) :

- لماذا منعتنى من إطلاق النار ؟

أجابها متوتراً :

- لو انطلقت رصاصة واحدة ، سيدرك الجميع هنا أننا نهاجم المحطة ، ولن يمكننا الصمود أمام قتال مباشر .. إنهم يفوقوننا عدداً وعدة بكثير .

أومأت برأسها متفهمة ، وهى تغمغم :

- كان ينبغى أن أفهم هذا .

انتزع (عمرو) ساعة يده ، وهو يقول :

- هيا نعد القنبلة الآن ، فقد لا نجد الوقت لإعدادها ، عندما نصل إلى الكابلات .

حل (محمد) حزام سرواله ، وجذب خيطاً فى طرفه ، فانقسم إلى نصفين ، وبرزت من داخله كتلة سمكية ، بطول الحزام كله ، أشبه بالعجين ، ولها لون رمادى داكن ، وراح (محمد) يعجنها فى سرعة ، حتى أصبحت أشبه بكرة من الطين ، وناوله (عمرو) ساعته ، وهو يقول :

- اضبط التوقيت على الواحدة بالضبط .

ألقى (محمد) نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الثانية عشرة والثلاث ، ثم التقط ساعة (عمرو) ، وضبطها على التوقيت المطلوب ، ثم غرس طرفى حزامها الصغير فى كتلة العجين ، وقال :

- المفجر جاهز للعمل .

تطلعت (راوية) إلى ما فعلاه في دهشة ، وهتفت :
- أهذا هو المفجر ؟

أجابها (عمرو) :

- بل هي القنبلة نفسها .. متفجرات بلاستيكية ، وجهاز تفجير
على هيئة ساعة يد .. إنها فكرة بسيطة للغاية ، وكل ما تبقى أمامنا
هو أن نبلغ حجرة القائد ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، اقتحم القائد الحجرة بغتة ، وهو يهتف :
- هل ستقضون يوم العيد كله في ...

لم يكمل عبارته ، وهو يحدق في جنود الاتصالات ، الذين قيدهم
(عمرو) و (محمد) في إحكام ، وفي المتفجرات التي يحملها
(محمد) ، فرفع (عمرو) مدفعه في وجهه ، وقال في صرامة :

- لا تحمل علامات الدهشة هذه طويلاً .. نعم .. نحن مصريون .
انعقد حاجبا القائد في غضب ، وتجاهل المدفع المصوب إليه
تماماً ، وهو ينتزع مسدسه ، صائحاً :

- اللعنة !

ولم يعد أمام (عمرو) اختيار آخر ..

لقد ضغط زناد مدفعه الآلى ، وأطلق النار ، و ...
وانفتحت أبواب الجحيم .

★ ★ ★

الفصل الخامس عشر

السبت : ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م : الثانية عشرة والثلاث ظهراً .
١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ

★ ★ ★

تطلع (خالد) إلى ساعته ، وأسند مدفعه الآلى إلى المقعد الخلفى
فى السيارة (الجيب) ، ثم وثب منها ، وهو يسأل أحد رجال الشرطة
العسكرية الأربعة فى عبرية سليمة :

- لقد سئمت الانتظار هنا .. ألا يوجد مكان ، يمكن للمرء أن يجد
فيه شراباً منعشاً ، وسقف يستظل به ؟
ابتسم الرجل ، وقال :

- يمكننا أن نمحك كليهما بصفة ودية .

لوح (خالد) بذراعيه ، وهو يهتف :
- عظيم .

ثم استند إلى إحدى الدبابتين ، وتظاهر بعقد رباط حدانه ،
مستطرداً :

- ثانية واحدة .. سأعقد هذا الرباط اللعين ، وألحق بكم على
الفور .

وفى خفة مدهشة ، ودون أن ينتبه إليه أحدهم ، ألصق أسفل
جنزير الدبابة قنبلة زمنية موقوتة ، ذات قاعدة مغنطيسية ، ثم
اعتدل ، ورسم على وجهه ابتسامة واسعة ، وهو يقول :
- والآن .. هيا بنا .

أجابه (خالد) في سرعة :

- إنها تراودنى على هذا دائماً .

ضحك رجال الشرطة العسكرية الأربعة ، ولوح أحدهم بكفه ، وهو يقول :

- ومتى ينتهى ذلك الضابط من التفتيش ؟.. هل سيقضى النهار كله بأسفل .

تمتم (خالد) :

- ومن يدري ؟

ثم لوح بيده ، واستطرد :

- ولكننى سأعود إلى السيارة على أية حال ، فهو صلب وصارم للغاية ، ولو عاد ووجدنى أتسامر معكم ، سيوقع على أشد الجزاء .
بدا الأسف على وجوههم ، وقال أحدهم :

- قلوبنا معك .

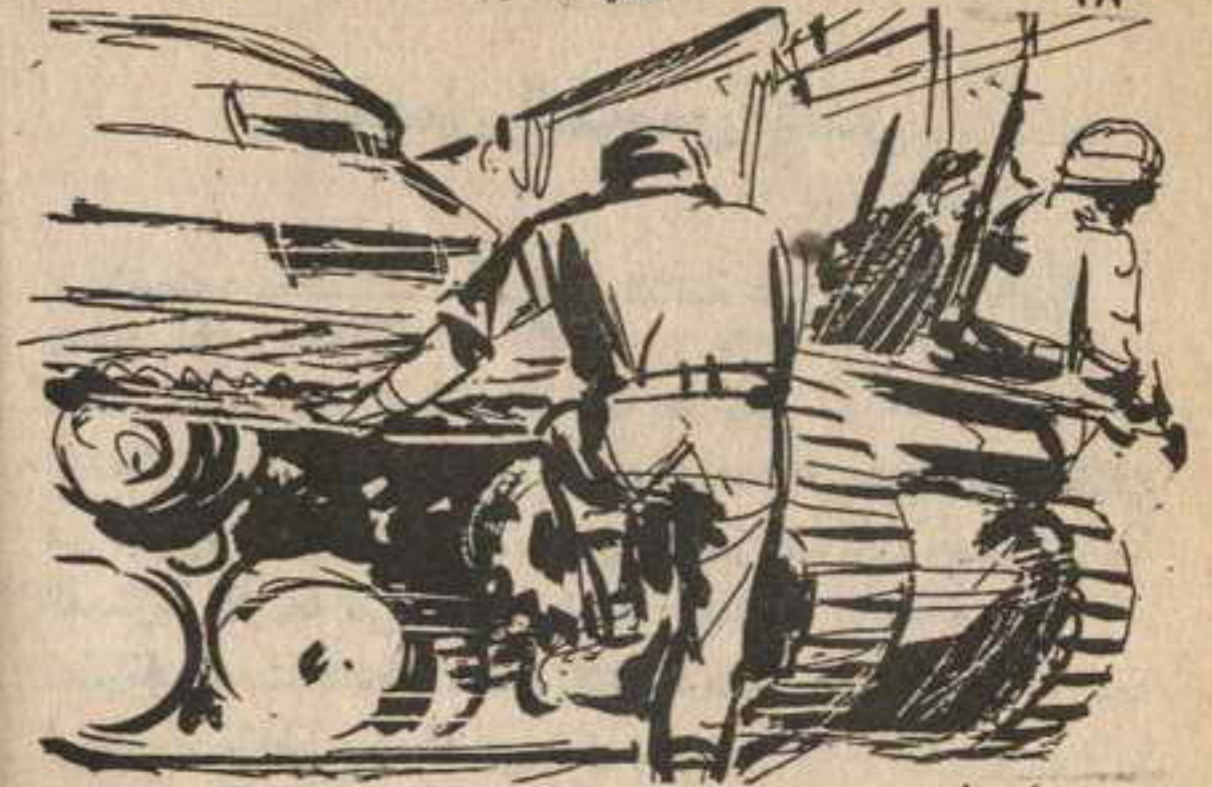
اتجه فى تراخ متعمد نحو الدبابة الثانية ، وأصق ظهره بها ، وهو يتظاهر بارتشاف البيرة المثلجة مرة أخرى ، ثم أخرج من جيبه القبلة المغنطيسية - الثانية - ، و ...
، ماذا تفعل عندك ؟ .. ، .

هوت العبارة على أذنه بغتة ، فاعتدل بسرعة ، وأخفى القبلة خلف ظهره ، وتطلع إلى أحد أفراد طاقم الدبابة ، الذى رمقه بنظرة قاسية ، وهو يستطرد :

- محظور على أى شخص الاقتراب من الدبابتين .. هل تفهم ؟

لوح (خالد) بعلبة البيرة ، وقال :

- نعم .. أفهم .. معذرة .. لم أنتبه إلى هذا .



توقف أمام مبنى الشرطة العسكرية ، ولاحظ طاقمى الدبابتين ، المكوّن من ثمانية أفراد ، أربعة لكل دبابة ، يتسامر داخل المبنى ، فى حين دخل أحد رجال الشرطة العسكرية ، وعاد وهو يحمل علبة من البيرة المثلجة ، ناولها لـ (خالد) ، وهو يقول :

- لو أردت رأى يارجل ، فرؤساؤك غاية فى السخافة .. من يقوم بعمل تفتيش رسمى كهذا ، فى يوم العيد ؟!

هزّ (خالد) كتفيه ، وتظاهر بأنه يرتشف رشفة من العلبة ، وهو يقول :

- ماذا تفعل ؟! .. إننا مجرد جنود بسطاء .

ضحك آخر ، وقال :

- قل لى يارجل : ألا تراودك نفسك أحياناً ، على إطلاق النار

عليهم ؟

وأعاد القنبلة إلى جيبه في سرعة ، وهو يعود إلى السيارة (الجيب) ، ولم يكذب يحتل مقعده فيها ، حتى أمسك مدفعه الآلى في قوة ، وكأنه يستمد منه بعض الثقة ، وأفرغ علبة البيرة تحت قدميه ، وهو يلقي نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الواحدة إلا الثلث ، وتساءل فى أعماقه :

ثرى كيف تسير الأمور مع رفاقه فى أسفل ..
ولم يكن من الممكن أن يستنتج الجواب ..
لم يكن من الممكن أبدا ..

★ ★ ★

اخترقت الرصاصات جسد قائد المحطة الإسرائيلى ، وانتزعت من مكانه ، ودفعته عبر الممر كله ، ليرتطم بباب الحجره المقابله فى عنف ، ويحطمه ، ثم يسقط داخلها جثة هامدة ..
وقفز جنود الحجره المقابله فى فزع ، والتقطوا أسلحتهم ، فصاح (عمرو) ، وهو يفتح نيران مدفعه فى وجوههم :
- القنبلة يا (محمد) .

لم يكن هناك مجال للمناقشة أو الجدل أو الاعتراض ، لذا فقد مرق (محمد) إلى جواره ، وانحرف يمينا ، ليبلغ حجره القائد فى نهاية الممر ، فى نفس اللحظة التى انفتحت فيها الأبواب كلها ، وبرز أكثر من عشرين جندياً إسرائيلياً ، أطلق بعضهم النار نحوه ..
وشعر (محمد) بألم رهيب فى فخذه ، ومرقت رصاصة على قيد سنتيمتر واحد من أذنه اليسرى ، ولكنه لم يتوقف ، وإنما اقتحم حجره القائد ، والرصاصات ترتطم ببابها ، وقذف جسده التحيل داخلها ، فى نفس اللحظة التى سمع فيها (عمرو) يهتف به :

- أغلق الباب خلفك ، ولا تفكر إلا فى نجاح المهمة .. المهمة وحدها يارجل .. (مصر) كلها أمانة فى عنقك .
وأغلق (محمد) الباب خلفه فى إحكام ، فى حين وثب (عمرو) خارج الحجره ، وراح يطلق النيران على الإسرائيليين فى بسالة مذهلة ، وهو يصيح ب (راوية) :

- ابحثى عن وسيلة للفرار .
ولكنها اندفعت لتقف إلى جواره ، بعد أن اختطفت مدفعا آليا ، يخص أحد جنود حجره الاتصالات ، وأطلقت نيرانه نحو الأعداء فى سخاء ، هاتفة :

- سنبقى معا ، أو نرحل معا .
وعلى الرغم من دقة وخطورة وحرص الموقف ، فهم (عمرو) الرسالة ..

رسالة الحب ، الذى أعلنته (راوية) فى وضوح ..
ويبدو أن ذلك الحب قد منحهما قوة رهيبه ، يعجز عن استيعابها العقل ، فقد وقفا جنبا إلى جنب ، وظهراهما لحجره القائد ، يطلقان النار عبر ممر طويل محدود ، على فرقة كاملة من الإسرائيليين ، والرصاصات تتناثر حولهما ، دون أن يهتز لهما جفن ..
أما (محمد) ، فقد أدار عينيه فى الحجره بسرعة ، بحثا عن الطريق إلى ممر التهوية الرئيسى ، وهو يغمغم :

- أين أنت؟! .. أفصح عن نفسك بالله عليك ، فالوقت يمضى فى سرعة .
ثم رفع عينيه إلى أعلى ، وهتف :
- آه .. ها هوذا .

جذب مقعدًا في سرعة ، ووثب فوقه ، ثم رفع ذراعيه ، يزيح مربعًا كبيرًا من مكانه ، ووضع المتفجرات في قميصه ، ثم وثب في خفة ، اكتسبها مع رقصات البالية ، ليتشبث بحاجز المربع ، ويدفع جسده إلى أعلى ..

كان الآن داخل ممر ضيق ، يمتد ثلاثة أمتار إلى الأمام ، ثم يلتقى بأخر رأسى ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، إلى أين يمتد بالضبط ..

وساعده جسده الضئيل النحيل على الزحف عبر الممر الأفقى ، ولم يكذ يبلغ الممر الرئيسى ، حتى رأى الكابلات الرئيسية أمامه ، فهتف في حرارة :
- حمدًا لله .

وبسرعة ، أخرج المتفجرات من قميصه ، وثبتتها في الكابلات بقوة ، وتأكد من أن المؤقت يعمل بكفاءة ، قبل أن يلقي نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الواحدة إلا الثلث ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، كانت إحدى الرصاصات قد اخترقت معدة (عمرو) ، ولكنه واصل إطلاق النيران فى استماتة ، وسمع (راوية) إلى جواره ، تطلق صرخة ألم ، وشاهد الدماء تتبثق من جرح فى عنقها ، وآخر فى كتفها ، فصاح بها :

- تماسكى يا (راوية) .. لقد قتلنا نصفهم على الأقل .
ولكنها أطلقت شهقة مخيفة ، واتسعت عيناها فى شدة ، وأغرقت الدماء صدرها فجأة ، وهى تهمس فى ألم :
- الوداع يا (عمرو) .. الوداع .

رآها تسقط أمامه جثة هامدة ، فصرخ بكل غضب الدنيا فى أعماقه :

- (راوية) .

ثم انتزع قنبلة من حزامه ، وألقاها بأقصى قوته ، نحو نهاية الممر ، صارخًا :

- أيها الأوغاد .

وقبل أن تبلغ القنبلة هدفها ، اخترقت الرصاصات صدره وعنقه ، فهوى إلى جوار (راوية) ، ودفع أصابعه فى مبادرة أخيرة ، ليقبض على أصابعها ، و ...

ودوى الانفجار ..

وانتفض جسد (محمد) فى عنف ، مع دوى الانفجار ، وهتفت فى ارتياح :

- رباه !.. (عمرو) و (راوية) .

كان فى طريقه للعودة ، لموازرة زميليه ، بعد أن وضع القنبلة فى موضعها ، ولكن هذا الانفجار جعله يتسمر فى مكانه ، ثم لم يلبث أن سمع وقع أقدام ، وصوت يهتف :

- إنه هناك .. سيحاول بلوغ الكابلات الرئيسية .

ثم أعقبه دوى رصاصات ، اخترقت السقف فى مواضع شتى ، فترجع (محمد) فى سرعة إلى الممر الرأسى ، وألقى نظرة على نهايته العلوية ، فتبين له أنه يرتفع لمترين ، ثم يلتقى به ممر أفقى آخر ، فدفع ظهره فى جدار النفق الرأسى ، وأصق قدميه بالجدار المقابل ، وراح يدفع جسده إلى أعلى ..

كان هذا يحتاج منه إلى قوة كبيرة ، ومرونة لا بأس بها ، وخاصة مع إصابة فخذه ، وأظفاره المنتزعة في أثناء تعذيبه ، ولكنه استنفر كل إرادته وقوته ، وراح يصعد في ببطء نسبي ، وهو يسمع صوت الإسرائيليين أسفل ، وهم يحاولون عبور الممر الأفقي ، ثم سمع صوت أحدهم تحته مباشرة ، يهتف :
- ها هوذا .

ودفع (محمد) جسده دفعة أخيرة ، فوثب داخل الممر الأفقي العلوي ، في نفس اللحظة التي أطلق فيها الإسرائيلي رصاص مدفعه الآلي ..

ونجا (محمد) بأعجوبة ، في اللحظة الأخيرة ، ورأى الممر الثاني يمتد لثلاثة أمتار أخرى ، ثم ينتهي بممر رأسي ثان ، يتسلل إليه ضوء الصباح ، فأدرك أنه يقوده إلى الخارج ، وألقى نظرة سريعة على ساعته ، ووجد أن عقاربها تشير إلى الواحدة إلا اثنتي عشرة دقيقة ، وكان هذا يعني أن (خالد) يشعر بتوتر شديد في الخارج ، فهو يعلم أنه من المفروض أن يصعد رفاقه إليه في الواحدة إلا الربع ، حتى يمكنهم الانصراف ، قبل انفجار القنبلة ..

وكان على حق في تصوّره هذا ، فقد تطلّع (خالد) إلى ساعته في عصبية ، وأدار عينيه إلى مدخل المصعد ، الذي يقود إلى أسفل ، وتمتم متوتراً :

- ترى ماذا حدث؟! لقد تجاوزوا المواعيد المحدودة .

أمسك مدفعه الآلي في تحفز ، وراح ينقل بصره في توتر شديد للغاية ، ما بين ساعته والباب ..



وفجأة ، فتح أحدهم باب المصعد ، وشعر (خالد) بشيء من الارتياح ، إلا أنه لم يلبث أن توتر في عنف ، عندما رأى جندي المصعد يندفع خارجاً ، وهو يصرخ :

- خيانة .. خيانة .. إنهم يهاجمون المحطة .

ولم يضع (خالد) ثانية واحدة بعدها ..

ولا حتى جزءاً من الثانية ..

لقد رفع مدفعه على الفور ، وأطلق نيرانه نحو رجال الشرطة العسكرية الأربعة ، الذين أخذتهم المفاجأة ، فسقطوا جثثاً هامدة ، قبل أن يستوعبوا الموقف تماماً ، ولكن (خالد) لم ينتظر سقوطهم .. لقد وثب ليحتمي بالسيارة ، ويتفادى رصاصات جندي الحراسة ، ثم أطلق رصاصاته على الجنديين ، وصرعهما في الحال ، وبعدها استدار يواجه الجندي المتبقى ، والجنود الثمانية ، الذين يمثلون طاقمى الدبابتين .

كانوا يندفعون نحو دبابتيهم ، والجندي يقوم بتغطيتهم ، ولكن (خالد) قفز من مكانه في جراءة مدهشة ، وأطلق النيران كالسيل .. وسقط ثلاثة من طاقمى الدبابتين على الفور ، وشعر (خالد) برصاصة تخترق ساقه اليمنى ، ولكنه واصل إطلاق النار ، وأسقط الجندي ، وشخصاً آخر من طاقمى الدبابتين ، في حين نجح الباقون في الوصول إلى أماكنهم .. أحدهم في دبابة ، والثلاثة الآخرون في الدبابة الثانية ..

وتحركت الدبابتان في حزم ، وراح مدفعاهما يتجهان نحو (خالد) ، فوثب إلى السيارة ، وهتف :

- هيا .. دعونا نعبث معاً بعض الوقت .

أدار محرك السيارة ، وانطلق بها في سرعة ، في نفس اللحظة التي انطلق فيها أحد المدفعين ، وانفجرت قنبلة على مسافة مترين من السيارة ، التي وثبت إلى الأمام ، وتردد صوت ارتطام الشظايا بها على نحو مخيف ..

وكان في استطاعة (خالد) أن ينطلق بالسيارة هارباً ، ولكنه كان يخشى أن يفعل هذا ، فيتخلى عن رفاقه ، إذا ما كانوا قد نجحوا في مهمتهم ، وصعدوا إلى أعلى ..

وفي ساعته ، كانت العقارب تشير إلى الواحدة إلا أربع دقائق فحسب ، عندما رأى (محمد) يقفز خارج فتحة التهوية الرئيسية ، ويندفع نحوه ، فصاح به :

- أسرع يا رجل .. أسرع .

انفجرت قنبلة أخرى ، كادت تقلب السيارة على جانبها ، ولكنه سيطر عليها في قوة ، حتى وثب (محمد) داخل السيارة ، فسأله :

- أين (عمرو) و (راوية) ؟

أجابه (محمد) لاهثاً :

- لقد استشهدا .

صاح به :

- وماذا عن القنبلة ؟

أجاب (محمد) :

- ستفجر في موعدها بإذن الله .

لم يكذ (خالد) يسمع هذا الجواب ، حتى أدار عجلة القيادة في حدة ، وانطلق بالسيارة نحو البوابة ..

ومن خلفهما دوى انفجاران متعاقبان ، ولكن السيارة اخترقت البوابة ، واندفعت فوق رمال الصحراء ، و (خالد) يهتف :
 - أنت واثق من أنك قد أدت المهمة على أكمل وجه ؟
 تطلع (محمد) إلى ساعته ، قبل أن يجيب :
 - ثوان وتتأكد من هذا .. لقد أخفيت المتفجرات جيدا .
 كان (خالد) ينطلق بالسيارة بأقصى سرعتها ، في اتجاه الغرب ، عندما صك مسامعهما صوت انفجار مكتوم ، فتنهّد (محمد) في ارتياح ، وغمغم :
 - الآن لم يعد وجود المحطة (عاين) يعنى الكثير .
 لم يكذب عبارته ، حتى ظهرت هليوكوبتر حربية إسرائيلية بغتة في السماء ، واندفعت نحوها في شراسة واضحة ، فصاح (محمد) في (خالد) :
 - أسرع يا رجل .. أسرع .
 وعلى الرغم من آلام ساقه اليمنى المصابة ، اندفع (خالد) بالسيارة فوق رمال (سيناء) ، وصاح (جاكوب ليومي) ، الذي يقود الهليوكوبتر بنفسه :
 - اللعنة !.. من الواضح أنني قد وصلت بعد فوات الأوان ، ولكن هذين المصريين لن ينجحا في الفرار مني قط .
 وضغط زر المدفع الآلي ، فانهمرت الرصاصات على السيارة كالمطر ، وهتف (خالد) :
 - هذا الوغد يمكنه اصطيانا بكل سهولة .
 اختطف (محمد) المدفع الآلي ، وهو يهتف :
 - دعنا نجعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة له .

وأطلق رصاصاته نحو الهليوكوبتر في غزارة ، ولكن (جاكوب) انخفض بها في سرعة ، متجاوزا الرصاصات ، وهو يقول ساخرًا :
 - حاول أيها المصري .. حاول .. ولكنك لن تهزم ضابط مخابرات إسرائيليًا قط .
 ثم أطلق رصاصات مدفع الهليوكوبتر مرة أخرى ..
 وفي هذه المرة ، أطلق (خالد) صرخة ألم عنيفة ، وانحرفت السيارة في حدة ، فصاح (محمد) :
 - احترس يا رجل .
 ولكن السيارة ارتطمت بالرمال ، وانقلبت رأسًا على عقب ، وأثارت حولها عاصفة عنيفة ، أخفتها عن أنظار (جاكوب) ، الذي اقترب بالهليوكوبتر ، وانخفض بها ، قائلًا :
 - من الواضح أنني أصبتهما ، وعندما تنقشع الرمال ، سأرى بنفسى أنني ..
 وبتر عبارته ، عندما برز (محمد) بغتة من وسط عاصفة الرمال ، والدماء تسيل من جرح في جبهته ، واندفع نحو الهليوكوبتر ، ثم ألقي نحوها شيئًا ما ..
 ولم ينتبه (جاكوب) إلى طبيعة ذلك الشيء ، حتى سقط إلى جوار مقعده ، فانتسعت عيناه ، وصرخ :
 - قنبلة .
 وبحركة غريزية ، جذب ذراع القيادة نحوه ، فارتفعت الهليوكوبتر في حدة ، و ...
 ودوى انفجارها عنيفًا ..

وقبل أن يتلاشى دوى الانفجار ، اندفع (محمد) نحو السيارة ،
وانترع من أسفلها جسد (خالد) ، وهو يقول :
- تماسك يا صديقي .. سأبذل ما بوسعي لإبقائك .
كانت الدماء تغرق وجه (خالد) وصدرة ، وتتناثر من بين شفثيه
الشاحبتين ، وهو يشير بيده مغمغماً بصوت مختنق :
- اتجه إلى الغرب مباشرة .. سيلتقطونك من هناك .
قال (محمد) في دهشة :
- الغرب؟! .. هذا يقوئني مباشرة إلى خط (بارليف) .
تمتم (خالد) .
- أعلم هذا .

ثم أطلق شهقة مكتومة ، تفجرت بعدها الدماء من فمه ، قبل أن
يسلم الروح ..

واغرورقت عينا (محمد) بالدموع ، وهو يدفن جثة آخر زملائه ،
ثم حمل المدفع الآلي ، وبدأ تحركه نحو الغرب ..
ثم كان ذلك الانفجار ..

انفجار عنيف ، على مسافة عشرة أمتار خلفه ، جعله يندفع إلى
الأمام ، ويسقط على وجهه ، فوق رمال (سيناء) ..
وعندما استدار ، ليلقى نظرة خلفه ، كاد قلبه يتوقف من شدة
المفاجأة ..

لقد فقدت إحدى الدبابتين جنزيرها ، عندما انفجرت فيه القنبلة
المغناطيسية ، التي وضعها (خالد) ، ولكن الثانية خرجت تسعى
للنثار ..

وها هي ذى تندفع نحو (محمد) ، عبر صحراء (سيناء) ..
وقفز (محمد) واقفاً على قدميه ، وانطلق يعدو فوق الرمال ،
ولكن قنبلة أخرى انفجرت خلفه ، على مسافة ستة أمتار فحسب ،
فألقت به إلى الأمام في عنف ، وسقط على وجهه مرة ثانية ..
وفي صعوبة ، وعلى الرغم من الآلام والشظايا الصغيرة ، التي
تملأ ظهره وذراعيه ، نهض (محمد) ، وعاد يعدو ..
وفي هذه المرة تبعته الدبابة فحسب ، دون أن تطلق عليه نيرانها ،
وكأنها تدخر ذخيرتها للحظة المناسبة ..
لحظة القضاء عليه نهائياً ..

ولم يدر (محمد) كم استغرقت هذه المطاردة بالضبط ..
لقد بدا له الأمر كدهر كامل ، وهو يسير فوق الرمال المحرقة ،
والشمس تلهب جراحه ، وجسده كله مغطى بالدماء ..
ولكنه أخيراً لم يعد يحتمل ..

لقد تهاوت قدماه ، وسقط جسده كله أرضاً ..
وهنا تقدمت الدبابة الإسرائيلية ، ورآها تتوقف على مدى يصلح
لتحريك مدفعها ، الذي انخفض في بطء ، حتى أصبح مصوباً إليه
مباشرة ..

ولهث (محمد) من فرط التعب والانفعال والتوتر ، وقد أدرك أن
الإسرائيليين قرروا نسفه بقنبلة مباشرة ، فأغلق عينيه ، وتمتم :
- أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

لم يكذب ينطقها حتى علا صوت كهدير الشلالات في السماء ، ودوى
انفجار عنيف ، شعر به (محمد) على قيد أمتار منه ، ففتح عينيه



المرأة مشكلة .. صنعها الرجل

(دراسة)

من المؤكد أن بدايتنا لم تكن أبداً تقليدية ..
فلا أول مرة - على قدر علمي - يبدأ عمل أدبي ما بطرح فكرته
على مجموع القراء ، واستقصاء آرائهم ، قبل البدء فعلياً في وضع
الكتاب ..

ولكنها تجربة جديدة ..

وأنا أعشق كل جديد ..

والسؤال الذي طرحه العديد من الأصدقاء ، هو : لماذا فُكرت في
وضع كتاب عن هذا الأمر ، الذي يختلف كثيراً ، في موضوعه
وفكرته ، عن معظم كتاباتي السابقة؟! ..

بل وما الذي يعنيه هذا العنوان ، المرأة مشكلة .. صنعها
الرجل ،؟! ..

والجواب على السؤالين ليس عسيراً في الواقع ، فمنذ سنوات
عديدة ، بدأت العلاقة بين الرجل والمرأة تجذب انتباهي ، في مجتمعنا

في دهشة ، ورأي الدبابة الإسرائيلية محطمة ، ومدفعها محترق
أرضنا ، وسرب من المقاتلات المصرية يعبر فوق رأسه مباشرة ..
كانت عقارب ساعته تشير إلى تمام الثانية بعد الظهر ، من يوم
السادس من أكتوبر ، عام ١٩٧٣ ، وانتفضت كل قطرة دم في
عروقه ، في فرح وفخر وسعادة وحماس ، ففي تلك اللحظة بالذات ،
وعلى طول (قناة السويس) ، كانت طائراتنا تعبر ذلك الخط ، الذي
وقف في مواجهتها لست سنوات كاملة ..

خط (بارليف) ..

وخط الهزيمة ..

لحظتها فقط ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفתי (محمد) ، وترك
جسده يسترخي على رمال (سيناء) ، وقد أدرك أن العملية قد انتهت
بنجاح تام ..

عملية (صقر) .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

المعاصر ، ولاحظت أنها لم تعد تتوافق ، أو حتى تتشابه من بعيد ، مع ما أمرنا به الله (سبحانه وتعالى) ، وما أشار إليه من المودة والرحمة ..

لقد أصبحت هذه العلاقة - في معظم الأحيان - علاقة حذر ، وتحرش ، وتحفز ..

أصبحت علاقة عصبية ، عنيفة ، متوترة ..

علاقة أشبه بما كانت عليه الأمور بين القوتين العظميين فيما سبق ، (أمريكا) و (الاتحاد السوفيتي) ..

الزوج يفترض دائماً أن زوجته تسعى لإحباطه ، وهي تتهمه بأنه يعتبرها مجرد خادمة ، وليست شريكة حياة ، والفتاة تحب ، فتبدأ في إقامة أسوار شانكة حول من تحب ، وتحاسبه في شراسة ، وهو يتعامل معها في صرامة وعنف ، وكل منهما يدعى أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ بمن يحب ، وضمان عدم تأثير الآخرين عليه ..

بدأت عبارات عجيبة تتردد على لسان الطرفين ، وبدأ كل منهما يتحدث أكثر عن الكرامة ، والهيبة ، والكيان ، والشخصية فحسب .. لم تعد هناك لمسة رقيقة أو رومانسية في علاقة جميلة ، يفترض فيها أن تمنح الطرفين كل الراحة والمودة والحب ..

وكانت المرأة في معظم الأحيان هي الطرف المتمرد ، العنيد .. الطرف الذي يقاتل في استماتة ، وكان كيانه كل يتعلق بالفوز في معركة ، لم يكن لها وجود فعلى من قبل ..

وقبل أن يتسرع البعض ، ويتهمني بالتحيز للرجل ، وبالتعتن مع

الجنس اللطيف ، وتحميله كل أسباب المشكلة ، دعوني أحكم بسرعة إلى العنوان ..

« المرأة مشكلة .. صنعها الرجل .. » ..

والواقع أيها الأصدقاء ، أنه لو كان هذا الكتاب مجرد هجوم على المرأة ، لما كان هناك داع لكتابته وإصراره ..

ولو كان هجوماً على الرجل ، لتشابه كثيراً مع كتب ومؤلفات أخرى ، يحمل معظمها توقيع بعض الكاتبات الثوريات .. وهو أيضاً ليس تنقيحاً عن عقدة داخلية ..

إنه - وبكل بساطة - محاولة متواضعة لتقييم الأمور بشكل علمي عملي ، وتحليل ذلك الموقف ، الذي أدى في النهاية إلى ذلك الاضطراب غير الطبيعي ، في علاقة المرأة بالرجل ..

إنني أعترف في البداية أن المرأة مشكلة بالنسبة للرجل ..

ولكن لماذا ؟ ..

لماذا أصبحت المرأة مشكلة ؟ ..

وكيف ؟ ..

ما العوامل المسنولة عن هذا ؟ ..!

وبعد تفكير عميق ، تبين لي أن المسنول

عن كل هذا هو الرجل نفسه ..

هو الذي صنع المشكلة ..



وهو الذى يدفع ثمنها فى النهاية ..
 أما تفاصيل هذا القول ، فهو ما ستتضمنه فصول الكتاب ..
 ولكننا بدأنا بداية غير تقليدية ..
 وسنواصل معاً هذه التجربة الجديدة ..
 ولأول مرة أيضاً سأبدأ بطرح الآراء والرسائل ، التى وصلتني
 حول هذه القضية ، ثم نبدأ معاً فصول الكتاب ..
 فإلى لقاء قريب ..

★ ★ ★

كم تمنيت ، وأنا أقرأ خطاباتكم وآراءكم ، حول هذا الموضوع ،
 أن تكون لدى مساحة كافية ، لنشر خطاباتكم بأكملها ، ولكننى لا أملك
 هذه المساحة للأسف ، التى تحتاج إلى مجلد ضخم ، يفوق مساحة
 الكتاب الواحد من (كوكتيل ٢٠٠٠) أربع مرات على الأقل ..
 لذا فسأضطر إلى الاكتفاء ببعض الفقرات ، التى وردت فى
 الرسائل ..

وأتمنى أن يكون هذا مناسباً ..

★ ★ ★

* ولقد ذكرت أن المرأة مشكلة ، وأن أحدا لا يفهمها ، ولكنها
 مظلومة ، حتى ولو كانت ظالمة فى بعض الأحيان ؛ لأن هذا يرجع
 إلى شعورها بالظلم والاضطهاد ، فى عصر يفترض فيه أنه عصر
 الحريات ..

إبراهيم يحيى سعد - دبلوم فنى تجارى .
 * .. وللمرأة حقها فى أن تعمل فيما يناسب طبيعتها ، كالتدريس
 أو الطب ، إذا مادعت الضرورة إلى هذا ؟ لأن مملكة المرأة

الحقيقية هى بيتها ، وسعادتها فى بيت زوجها ، وعندما نلتزم
 بتعاليم الإسلام السامية ، لن تصبح هناك مشكلة بين الرجل
 والمرأة ، بل سيصبح هناك ، ود ، وتفاهم ، وحب ، وسعادة ..
 أحمد إبراهيم مصطفى الجريدى - الإمارات - أبو ظبى
 * .. قد يتزوج الرجل عن حب ، وكذلك المرأة ، وعلى الرغم من
 هذا لا تستمر العلاقة الزوجية طويلاً ، مما يضطرهما إلى
 الانفصال ، ولأنبالغ لو قلنا إن المرأة هى المسئولة عن هذا فى
 معظم الأحيان ، بسلوكها داخل المنزل ، وتصرفها مع الرجل ،
 ولكن هذا لا يعفى الرجل من بعض المسئولية ..

محمد محمود عطا الخولى - كفر الشيخ .
 * .. وبدأت المرأة تسترجع القديم والحاضر ، ونمت فى عقلها
 فكرة تقول : لماذا لا أحصل على حقى ، بعد كل هذا العذاب ، ؟
 ولكن روح الانتقام داخلها أخذت تكبر وتكبر معها مطالبها من
 الحرية ، حتى وصلت إلى مانحن عليه الآن ، من تقليد ملبس
 الرجل ، وحتى أسلوبه فى تصفيف شعره ، وهنا يكمن الخطأ ..
 هناء مصطفى عوض - السويس .

* .. فى البداية عبّرت المرأة عن رغبتها فى الاستقلال ، من خلال
 سعيها لاحتلال مكان الرجل ، ثم عادت تطالبه باحتلال مكانها ،
 ونسيت أن الله (سبحانه وتعالى) خلقها لدور لا ينافسها فيه
 سواها ، ومن الطبيعى بعدها أن يشكو الرجل من المرأة ، وأن
 تنور المرأة على الرجل ، وتصل العلاقة بينهما إلى مفترق
 الطرق ..

أحمد عصمت مصطفى عمر - القاهرة - النزهة الجديدة .

* .. أصبحت أومن بأن الله (سبحانه وتعالى) خلق المرأة ، وكرّمها بكونها ربة أسرة .. صحيح أن لها حق الاختيار ، فى أن تجاهد لتصبح شخصية مرموقة ، ولكن عليها أولاً أن تسأل نفسها : هل يكون هذا على حساب أسرتها أم لا ؟ ولو شعرت بأنها ستضطر إلى إهمال أسرتها ، ولو بنسبة ١ % ، فعليها أن تتسحب من عملها على الفور

الأخت أ.ر. - دولة الإمارات العربية .

* .. موضوع المرأة شأنك بحق ، وسيانك تقول إن الرجل هو سبب المشكلة ، ولكننى أرى غير هذا ولدى أسبابى : أولاً : خلقت المرأة من ضلع أعوج ، وأعوج ما فى الضلع أعلاه ، وثانياً : النساء ناقصات عقل ودين ، وثالثاً : هناك حديث نبوى (لست أنكر نصه) ، يقول ، إن هناك الكثيرين من الرجال الكُمل ، ولكن لم يكمل من النساء سوى أربع .. امرأة فرعون (ولا أنكر اسمها) ، و (مريم بنت عمران) ، و (خديجة بنت خويلد) ، و (فاطمة بنت محمد)

أحمد عيد شلبي محمد - الإسكندرية .

* .. ولو اعتقدت المرأة أن مسنوليّاتها تجاه زوجها وأسرتها تحط من قدرها ، فهى مخطئة تماماً ، لأنها يتبغى أن تفخر برسالتها هذه ، التى لولاها لتفككت الأسرة ، وانهار المجتمع ، وفسد الكيان كله

أبو اليزيد إبراهيم أبو اليزيد - بركة السبع .

* .. واستغل الرجل سلطاته على نحو غير سليم ، وبالغ فى التعنت مع زوجته ، وفى القسوة والعنف معها ، بحجة الحفاظ على كرامته وكرامتها ، فترك داخلها شعوراً بالظلم والغضب والاضطهاد ، وكادت تختنق فى سجنه الصارم ، عاجزة عن تحطيم جدرانها ، حتى جاء اليوم الذى ثارت فيه عليه ، وطالبت بحقوقها وحريتها

عمرو محمد فرج السيد - القاهرة - مصر القديمة .

* .. ودون الخوض فى أسباب شانكة وعديدة ، سوف يطرحها القراء ، فإتنى أجد أن للمشكلة سبباً واحداً رئيسياً ، ألا وهو انحراف المجتمع عن المنهج الربانى ، الذى وضعه خالق الكون ، والاتجاه إلى مناهج أخرى ، غربية أو نظرية

فراس عبدالعزيز عالم

كلية الطب - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة .

★ ★ ★

* خطابان فقط ، لم أستطع الاكتفاء بنشر جزء منهما فحسب ، وجذبني أسلوبهما ، حتى أتني رأيت ضرورة أن يشاركنى القراء ما جاء بهما ، وهما خطاب (م.ع.ع - ع - ١٦ عاماً) ، الذى لم يكتب اسمه للأسف ، وخطاب الصديقة (وفاء رأفت على) من (مصر الجديدة) ، فدعونا نطالعهما معاً .

★ ★ ★

(١)

نعم المرأة مشكلة ..

ونعم نحن الرجال صنعناها ..

ربما يتساءل بعض الرجال كيف ؟ أو ربما يحاول البعض الآخر
نفي مسنوليته عن هذ المشكلة .

فالمراة منذ الأزل تعاني نفس المشكلة . ألا وهى الشعور بعدم
المساواة بالرجل .

وستظل أبداً تشعر بهذا الشعور مهما نالت من حرية ، ومهما بلغت
من مناصب ، ومهما انتزعت من سلطات من يد الرجل ، ستظل فى
أعماقها تشعر بأنها مظلومة .

فالمراة فى عصرنا هذا تنقسم إلى قسمين :

- القسمان يتفقان فى الدافع ، وهو الشعور بعدم الأمان وعدم
المساواة ، الشعور بالظلم والقهر ، ولكنهما يختلفان فى رد الفعل .
فالقسم الأول يستسلم ويشعر بأنه لا يستطيع تغيير أى شىء مما
حوله ، فيفضل البقاء تحت سيطرة الرجل وحمايته فى نفس الوقت ؛
لأنه فى قرارة نفسه يشعر بضعفه الأثنوى وعدم قدرته على التعامل
مع الحياة بمفرده ، وهو القسم الأقل انتشاراً الآن .

أما القسم الآخر ، فتتولد داخله طاقة متمردة ، وغضب مكبوت
ينجم عنه رفضه لأنوثته وانسلاخه عن جنسه ، لأنه فى رأيه السبب
فىما يواجهه فى حياته من سيطرة رجالية على المجتمع ويدفعه إلى
محاولة التشبه بالجنس الذى يسيطر على مجريات الأمور ، ولكنه
بهذا يتنازل عن حقوق أخرى .

فإذا أصبحت المراة متساوية معى كرجل ، وغير محتاجة
لوجودى ، فلماذا أقف مثلاً لأدع امرأة تجلس مكانى ، أو لماذا أدعها
تمر أمامى أولاً . والكثير من تلك الحقوق المكتسبة ، لكونها امرأة
ضعيفة ، والتي تفقدها بمحاولتها للتشبه بالرجل .

ولكن القسمين ضحية معاملة الرجل شننا أم أينا .

ولكن من هى المراة - المشكلة - فهى نصف المخلوقات على
وجه البسيطة ، فهى الأم ، والأخت ، والصديقة ، والزوجة ، والابنة .

هى نصف حياتنا ..

ومعظم مشكلاتنا ..

م . ع . ع . (١٦ عامًا)

(٢)

أستاذى العزيز د. نبيل فاروق ..

بعد التحية والسلام ..

لقد ذكرتى كنعات سيادتكم فى الدراسة الأخيرة ، المرأة مشكلة صنعها الرجل ، بمناظرة قمت بكتابتها تحمل رأى الذى لن أحيده عنه .. تحمل احترامى للرجل ومقتى للظروف التى تكبل يدي ، ومعى كل امرأة شرقية تبحث عن حرمتها المشروعة ..

ها هى كلماتى ..

ها هو اتجاهى ..

* من أنت كى أحادثك ؟ من تكون كى أصدقك ؟

- رب البيت ... سيد قومه ... حامى بلاده ...

* أنسيت (جهاد) التى بالسيف عانقت صفوف العدو ، وبيسراها

لواء الإسلام !!؟

- لم أنس ولكنها كانت واحدة ..

* واحدة؟! أين ذهبت عيناك؟ بم هام ناظراك؟ أين أذناك كى

ترهف السمع!!

- البقاء للأقوى والرجال قوامون على النساء ..

* أنت عنيد مكابر ..

- بل أنت تتعاملين بصلف وتجبر .

* إلى م ترمى ؟

- إلى حيث الطاقة ... سابقى أنا الأقوى ، أما أنت فستبقين

الأضعف .

من قال هذا؟ .. إن ما أقوله ما هو بمنطق امرأة شرسة ولا فتاة طائشة ، إنما هو مجتمع نسائى يطالب بحقوقه .
لقد استوليت على حق الدفاع عن الوطن .. فأنت تجند ..
استوليت على حق القضاء على الجريمة فأنت ساهر على راحة الآخرين فى زى الضابط .. لم لا تترك أيها الرجل للنساء السبيل لتحقيق أهدافهن .. إننا نستهدف المعاونة فى البناء لا الجدل فيما لا طائل له ..

- أوقفى هذا التحدى السافر واسمعينى ..

* لا .. لن أدع لك الفرصة لإخضاعى من جديد ..

- ربة البيت الناجحة هى أفضل للرجل من المرأة العاملة ..

* لم لا تزيد على ذلك فتقول إنه من الأفضل ألا تتال المرأة من

التعليم شيئاً لتحيا فى غياهب الجهل والتخلف فتزداد أنت سلطانا ..

- أتسخرين منى أم تريدين استفزازى؟؟

* قل ما شئت ولكن المرأة ستظل تبحث عن النور ، ولن تتال من

أقاويلك تلك ما تصبو إليه ، فأنت بذلك تقترح إلقاءها فى بئر من

الظلمات ، بل هو بحر الظلمات الذى لا شاطئ له .. حيث لانجاة

ولا عودة ..

- أديرى على .. نعم أديرى على .. فقد أكون قد نسيت مم خلقت ..

* لقد نسيت أنا الأخرى .. وإن كانت فى طى الذاكرة لما لجأت

إليها .. فكم أنت خبيث !!

- لقد خلقت حواء من ضلع من ضلوع آ ..

* ماذا تعنى؟؟

- أعنى أنه بدون ذلك الجسد الذى خلقت منه لما وجدتك على وجه البسيطة ..

* ويحى .. أين ذهب عقلك؟! هل خبا وميضه الذى طالما كنت أعجب به؟؟

- ما يزال كل فى مكمنه ، فأنت من يتمرد على قوانين الحياة لا أنا ..

* أتمررد!؟؟.. ما هو مفهوم التمرد لديك ؟

- التحدى ..

* أنا لا أتحدى .. فما أنا بفاعلة إياه ، إنما هو التحدى ..

- أنت واثقة من أن تلك النبرات هى نبرات صوت أنثوى؟.. إن

تلك الكلمات تنبع من غريزة من تملك خصلات تنسدل على كتفيها؟؟

* قل ما يخلو لك فهى غريزة البقاء ولا تفسير آخر لدى ..

- أعنى هذا أنه قد انسدل الستار على هذا النقاش؟

* لا ليس بعد .. أتريد التهرب؟؟

- من .. أنا!؟؟ إنه لعار على أن أفعل ..

* ألا ترى فيما تقول الأناية؟ فأنت لا تريد التخلى عن حقوقك ،

ومع ذلك تطالبنى بالتخلى عن كل ما أملك من حقوق ، وعمما ما أزال

أبحث عنه من حقوق لم تصلنى بعد !!

- لا صلة بين هذا وذاك .. إنه الوضع منذ القدم .

* أترانا ما نزال نعيش فى البادية نحتفى وراء القباب الواقية

خشية من بطش الأعداء!؟؟.. لقد تغيرت الحياة كثيرا .. أما أنت فلا

تريد أن تتغير ..

- أعنى هذا أنى لا أواكب عصر الذرة وغزو الفضاء؟؟

* لم يكن هذا هو مقصدى ، فأنت مخترع هذه الأجهزة ، وتلك

الشاشات ..

- وبعد ..

* الفهم .. افهمنى أفهمك .. امنحنى الفرصة كى أثبت قدراتى ..

- أهذا هو كل ما لديك؟ ها هى الفرصة أمنحك إياها ، فأرىنى

ما أنت فاعلة بها ..

* نعم .. سترى .. سترى ولن تندم أبدا ، فستكون مدينتنا ذات

طرقا ممهدة ، ومحال مضيئة ، ودور فسيحة ..

- لنر .. فيها أنا منتظر .. سأمهلك ردحا من الدهر .

* ها قد عدنا إلى السخرية من جديد ..

- إنها ليست سخرية .. حسن .. سنعمل معا ، ولنر العاقبة .

وهنا ارتفعت السجاية وخيم السكون ، وباتت الأيدي متعانقة

والقلوب متوثبة ..

لكل بداية نهاية .. وهكذا خطابى ، فقد بدأ بكلماتى ، وها هو ينتهى

بكلماتى أيضا ..

من بين قرانك وفاء رأفت على - مصر الجديدة

★ ★ ★

وهكذا تنتهى كل الخطابات ، التى وصلت إلى المؤسسة ، حتى

لحظة طبع هذا الكتاب ، وفى الكتاب القادم من سلسلة (كوكتيل

٢٠٠٠) ، أعدكم بأن أفرد مساحة أكبر ، لنشر كل أو معظم ما يصلنا

روايات مصرية للجيب

كوكتيل
٢٠٠٠

قصة العدد



ضيف
النجوم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بلاطو مصر الجديدة - القاهرة - ١١٥٥٥٥

دراسة

٩٦

من رسائلكم واقتراحاتكم في هذا الشأن ، ثم نتابع معا فصول الكتاب
اعتبارًا من الكتاب بعد القادم ..
وحتى ذلك الحين ..
إلى اللقاء ..

★ ★ ★

أنت تعلم أنني كنت أقيم في شقق مفروشة مختلفة ، منذ أن توفيت زوجتي الحبيبة (رحمها الله) وتركت لي ابنتنا (هبة) ، وكانت - حينذاك - في الثالثة من عمرها ، وعندما حصلت على الموافقات اللازمة ، لاستلام قطعة الأرض الصحراوية ، أنهيت عقد آخر شقة مفروشة ، وأنفقت جزءاً كبيراً من مدخراتي ، لشراء سيارة (جيب) ، تصلح للعمل في المكان ، ثم ابتعت بعض المواد التموينية ، وحملت (هبة) مع كلبها الصغير (ميكى) ، وانطلقت على الفور إلى هنا ، ولم أكد أصل إلى المكان ، بعد أن ضللت طريقي ثلاث مرات ، حتى أصابتنى صدمة ، وشعرت بأننى فى المنفى بالفعل ..

صحيح أن المكان عبارة عن مائة فدان ، يتوسطها منزل من طابق واحد ، أطلقوا عليه فى الهيئة اسم (الفيل) زوراً وبهتاناً ، وهناك مبنى آخر ، المفروض أن يستخدم كمخزن للغلال فيما بعد ، وبئر قديمة ، وظلمية مياه ، ولكن لاتدع هذه الأشياء ترسم فى خيالك صورة وردية ، فكل ما ستراه من حولك ، فيما عدا هذا ، هو الصحراء ..

فقط الصحراء ، وكأن العالم كله قد خلا من سكانه ، ولم يعد هناك سواك ..

وربما لاح لك من بعيد جداً منزل آخر ، ولكن أحذا لم يقطن المنطقة بعد ، وربما ينتظر الباقون حتى بداية الشتاء القادم ، عندما يتحسن الطقس ، وتنخفض درجة الحرارة ، ثم يلقون بأنفسهم هنا ، وربما كانوا على حق ، فدرجة الحرارة هنا لا تحتمل ، ولكننى مضطر للحضور فى هذا الموعد كما تعلم ، حتى يمكننى تحديد ما إذا كنت سأنجح فى البقاء ، وفى استصلاح تلك الصحراء أم لا ، قبل موعد بدء الدراسة ، وإلا خسرت (هبة) عاماً من عمرها بلا مبرر ..

١ - منزل جديد ..

الخميس / ٢٨ يونيو ..

صديقى العزيز / محمد ..

بعد التحية ..

أرسل إليك خطابى الأول من المزرعة الجديدة ، فى صحراء (مصر) الغربية .. بعد أن انتقلت للعيش فيها اليوم فقط ، أنا وابنتى الوحيدة (هبة) ، فور أن تسلمناها رسمياً من هيئة المجتمعات الزراعية الجديدة واستصلاح الأراضى .. وأنت تعلم يا صديقى العزيز كم عانينا الأمرين للحصول على هذا المكان ، منذ قرأنا معاً ذلك الإعلان ، الذى نشرته جريدة (الأهرام) منذ ما يقرب من عام كامل ، والذى أعلنت فيه الدولة ، أنها ستمنح كل خريج ، من خريجي كليات الزراعة ، أرضاً جديدة لاستصلاحها ، فى الصحراء الغربية و صحراء (سيناء) .. يومها تقدمنا - أنت وأنا - بكل حماس الشباب ، الذى يجرى فى عروقنا ، بطلبين للحصول على الأرض الصحراوية .. ثم بدأت رحلة العذاب ..

عشرات الطلبات والتمغات ، والتوقيعات ، وقائمة طويلة من الشهادات والأوراق المطلوبة ، ثم الذهاب يومياً إلى الهيئة ، ومتابعة ما تم إنجازه .. حتى أننى ما زلت أذكر دعابتك الساخرة العصبية أيامها ، عندما قلت : (إنهم - تقريباً - يختبرون قوة احتمال المتقدمين ، فمن لا يسقط حتى النهاية ، يستحق النفى إلى الصحراء ..

وبانمناسبة ، لقد تذكرت كلمة النفى هذه ، عندما وصلت إلى هنا ..

والواقع يا صديقي العزيز أنني كنت أتوقع أن تعترض (هبة) بالذات على قدومنا إلى هنا ، وأن تحزن وتبتس ، وكان هذا يقلقني بشدة ، ولكنها - وهذا العجيب - سعيدة للغاية بالمنزل الجديد ، وبالمساحات الشاسعة من حوله ، وهي تجرى وتلهو مع (ميكى) على الرغم من أن الشمس على وشك الغروب ، وسأضطر إلى إقناعها بالنوم ، حتى يمكننا توفير وقود المولد الكهربى ، الذى أحضرته معى ، فهنا يا صديقى ، وحتى ينتهى العمل فى محطة توليد الكهرباء الجديدة ، لا بد أن تعتمد على إهكاناتك الشخصية ، لتحيا كأدى عادى ..

وأخيراً ، لك تحياتى من قلب الصحراء ، وأتمنى أن تنتهى من أوراقك فى القريب العاجل ، لتصبح جارى فى المنطقة ، وسلامى وتحياتى للجميع ، وسأحاول إرسال هذا الخطاب فى أول فرصة ، أذهب فيها إلى (مديرية التحرير) ؟

صديقك

(خالد)

★ ★ ★

تتهد (خالد) فى عمق ، وهو ينهى خطابه ، وطواه فى عناية ، ووضعها داخل مظروف أبيض ، خط عليه عنوان صديقه ، ثم وضعه فوق مكتبه ، ونهض ينادى ابنته ، هاتفاً :
- (هبة) .. حان موعد تناول العشاء .

لم تسمعه الصغيرة للوهلة الأولى ، وهى تعدو مع كلبها نحو البئر القديمة ، فابتسم فى حنان ، ووقف يتأملها على ضوء الغروب ، وقد

بدت الشمس من خلفها كقرص أحمر كبير ، التهم الأفق قزمة كبيرة منه ، وراح يبتلعه فى بطء ، وهو يحجب بعضه بسحب داكنة .. وعلى الرغم من عدم ارتياحه لقضاء الليل فى الصحراء ، بدا له المشهد رائعاً ، يبعث فى النفس نشوة خاصة ، ويسحر القلب على نحو عجيب ..

وفى صعوبة ، انتزع نفسه من انبهاره ونشوته ، وهتف مرة أخرى :
- (هبة) .. الشمس تغرب .

التفتت إليه الصغيرة ، وهتفت متبرمة :

- مازال هناك بعض الوقت .. أريد أن ألعب مع (ميكى) .

ابتسم وهو يقول :

- ستلعبين معه كثيراً ، حتى يصيبك الملل منه ، فى الأيام القادمة ،

فلن تجدى وسيلة تسلية أخرى ..

مطت شفيتها فى غضب ، ولوحت بذراعيها الصغيرتين ، ولكنها أطاعته ، وعادت إلى المنزل ، وخلفها (ميكى) بقامته التى تكاد تبلغ ارتفاعها ، وفتح (خالد) ذراعيه عن آخرهما لاستقبال ابنته ، واستعد ليطلع قبلة حانية على وجنتها ، و ...

وفجأة ، توقف (ميكى) على نحو عجيب ، وانتصبت أذناه فى حدة ، وراح يزمجر فى خفوت ، فالتفتت إليه (هبة) ، وقالت :
- لا تفعل هذا يا (ميكى) .. أنت تخيفنى .

ولكن (ميكى) استدار يتطلع إلى البئر القديمة فى توتر ، وأطلق زمجرة أخرى خافتة ، فهتفت (هبة) بوالدها :
- أبى .. قل له : ألا يفعل هذا !

تطلّع (خالد) فى حيرة إلى البئر ، وتساءل : هل يشعر (ميكى) بوجود حيوان ما هناك ، أم ...
لم يجد ما يتمّ به تساؤله ، فمحا الأمر من ذهنه بسرعة ، وقال للكلب :

- (ميكى) .. تعال هنا .

ولكن الكلب بدا وكأنه لم يسمعه ، وهو يستدير بجسمه كله لمواجهة البئر ، ثم راح ينبج فى عصبية ، فصاح (خالد) :
- قلت لك : تعال هنا .

توقف الكلب ، وتسّمّر فى موضعه ، وتحرك ذيله فى عصبية واضحة ، ثم اندفع يعدو فجأة نحو البئر ، وهو ينبج فى قوة ، جعلت الصغيرة تتعلّق بوالدها ، هاتفة :
- أبى .. أبى .. قل له ألا يفعل هذا .



إلا أن (خالد) لم ينبس ببنت شفة ..

لقد تابع فى دهشة بالغة ما يفعله (ميكى) ، الذى وثب يعتلى السور الدائرى الصغير ، المحيط بفوهة البئر ، وتطلّع إلى الماء ، وأخذ ينبج فى قوة ، وهو يهزّ ذيله فى توتر ..

وفى رفق دفع (خالد) ابنته داخل المنزل ، وهو يغمغم فى حيرة :
- سأذهب لإحضاره .

اختفت الصغيرة داخل المنزل ، وأسرعت تتطلّع عبر النافذة إلى والدها ، وهو يتجه إلى البئر ، ويقول فى توتر :
- عد إلى المنزل يا (ميكى) .. أيا كان ما تراه عندك ، فحاول أن تتجاهله ، إنه مجرد ...

وانتفض جسده فى عنف ، قبل أن يتمّ عبارته ، وهو يحذق فى وجه الكلب فى دهشة كبيرة ..

كانت الشمس قد اختفت تمامًا فى الأفق ، وتركت خلفها ألوان الشفق الجميلة ، ولكن أيا منها لم يكن يصلح لصباغة وجه الكلب بذلك الضوء الأخضر الباهت ، الذى بدا واضحًا للغاية ، فى الإضاءة الخافتة ..

كان يبدو وكأنه ينبعث من مصدر إضاءة آخر ، فى قلب البئر .. مصدر يثير أعصاب الكلب ، ويدفعه إلى النباح على هذا النحو .. ولثوان ، تجمّد (خالد) فى موضعه ، ولم تطاوعه قدماه على قطع متر إضافى ، فى اتجاه البئر ..

ثم فجأة ، أطلق (ميكى) عواءً مفرضًا ، وتراجع إلى الخلف فى حدة وعنف ، فسقط من فوق سور البئر ، وراح يعوى فى ألم رهيب ..

عندئذ فقط ، انتزع (خالد) نفسه من دهشته ، واندفع نحو الكلب ، هاتفاً :

- ماذا أصابك ؟

انحنى يفحص الكلب في سرعة ، وآلمه أن يجد كسرًا واضحًا في قائمته الأمامية اليسرى ، فغمغم مشفقًا :

- يبدو أنك تحتاج إلى إسعاف سريع يا (ميكى) .

ثم عادت إلى ذهنه بغمّة صورة ذلك الضوء الأخضر الباهت ، الذى انعكس من البئر على وجه الكلب ، فأدار عينيه فى قلق متوتر إلى البئر ، ثم نهض يقترب منه فى حذر ، وانحنى يلقي نظرة على قاعته .. ولكن كل شيء هناك كان طبيعيًا للغاية ..

البئر ساكنة مظلمة ، تنبعث منها رائحة رطبة واضحة ..

وعلى الرغم من عدم اقتناعه ، تمتع (خالد) :

- إنه انعكاس ضوء الشمس على الجدران .

وانحنى يحمل الكلب ، ويعود به إلى المنزل ..

المنزل الجديد ..

★ ★ ★

كان كل شيء هادئًا رتيبًا ، فى محطة الدفاع الجوى فى (بنى سويف) (*) ، وجلس الملازم (حسين) مسترخيًا ، فى جحرة

(*) بنى سويف : محافظة مصرية ، تقع بين محافظتى (الجيزة) و (المنيا) ، وهى من الأقسام الإدارية الحديثة ، وأصبحت مديرية قائمة بذاتها عام ١٨٧٠ م ، ترويه ترعة (الإبراهيمية) وبحر (يوسف) ، عاصمتها (بنى سويف) ، ومن مدنها الكبرى (ببا) و (الواسطى) .

الرادار (*) ، يحتسى كوبًا من الشاي ، ويتطلع بين الحين والحين إلى الشاشة الخضراء ، التى تعكس ما يراقبه الرادار ، وما يدور فى سماء (مصر) ، فى تلك البقعة ، وغمغم أحد الجنود فى ضجر :

- ألا تشعر بالملل هنا يا سيادة الملازم ؟

ارتشف الملازم (حسين) رشفة من الشاي ، ثم هز كتفيه ، قائلاً :

- هذا أمر طبيعى فى أوقات السلم ، ولكن الذين عملوا هنا أيام

حرب ١٩٧٣ م ، أكدوا أنهم كانوا يحلمون بدقائق من الراحة .

قال الجندى فى ملل واضح :

- هل ينبغى أن نشغل حربًا أخرى إذن ، لنقضى على هذا الملل ؟

ضحك الملازم (حسين) ، وقال :

- هكذا الحال فى الجيش دائمًا .. إما أن تشكو من كثرة العمل ،

أو من عدمه ، وفى الجاليتين لن تتوقف الشكوى قط ، ولن ...

بتر عبارته بغمّة ، واعتدل فى حركة عنيفة ، جعلت بعض الشاي

الساخن يتناثر على سترته وسرواله ، إلا أنه لم يشعر بحرارته ، وهو

يحدق فى الشاشة ، هاتفاً :

- ما هذا ؟

(*) الرادار : جهاز يتكوّن من راديو لإرسال الموجة القصيرة ، وجهاز لتركيز الموجة ، وحزمة توجيه هوائية ، تستقبل الإشارة المرتدة ، بعد اصطدامها بالهدف ، وجهاز استقبال ، وشاشة من أنبوب (كاثود) ، وهو يستخدم لكشف الأشياء البعيدة والمتحركة فى السماء ، ولقد تم استخدامه لأول مرة فى الحرب العالمية الثانية ، ومن أشهر من أسهموا فى اختراعه سير (روبرت واظسون) (١٩٣٤ - ١٩٣٥) .

وثب الجندي من مقعده ، وحذق في شاشة الرادار بدوره ، وهو يسأل في ارتباك شديد :

- ماذا هناك يا سيادة الملازم ؟

أشار الملازم (حسين) إلى نقطة تتحرك على شاشة الرادار ، وقال في توتر :

- إنه جسم صغير ، يأتي من الجنوب الشرقي ، على ارتفاع كبير ، ولكنه يتحرك بسرعة مذهلة ، تفوق أسرع الطائرات التي نعرفها . سأله الجندي في توتر ، وهو يتابع النقطة ، التي بلغت منتصف الشاشة تقريبا .

- ربما كانت طائرة تجسس :

- هز الملازم (حسين) رأسه نفيا ، وهو يقول :

- حتى طائرات التجسس لا يمكنها أن تبلغ هذه السرعة .. انظر .. لقد دخل ذلك الجسم مجال الرادار ، ويكاد يتجاوزه ، في أقل من نصف الدقيقة ، وهذا يحتاج إلى سرعة مذهلة ، تبلغ عشرة أضعاف سرعة الصوت (*) على الأقل .

لم يكن الجندي يفهم بالضبط ما يعنيه هذا ، ولم يسمع في حياته قط عن سرعة الصوت ، ولكن الانفعال الذي نطق به الملازم (حسين) عبارته الأخيرة ، جعله يهتف منزعجا :

- إلى هذا الحد !؟

(*) سرعة الصوت : المسافة التي يقطعها الصوت في الثانية الواحدة ، وهي

حوالي ١١٢٠ قدما .

ومع آخر حروف كلماته ، تجاوزت تلك النقطة شاشة الرادار ، وواصلت طريقها نحو الشمال الغربي ، فهتف الملازم (حسين) في دهشة :

- رباه .. لقد خرجت من المجال في سرعة رهيبية .

ثم هز رأسه في قوة ، وكأنه يحاول أن ينفذ عنه الدهشة ، قبل أن يستطرد :

- هذا مستحيل !

حذق الجندي لحظات في الشاشة ، ثم اعتدل ، وسأل في حذر :

- سيادة الملازم .. ماذا ينبغي أن نفعل ؟

سأله (حسين) في شيء من العصبية :

- ماذا تعني ؟

أشار الجندي إلى الشاشة ، وغمغم :

- هل .. هل ستقدم تقريرا عن هذا ؟

هتف (حسين) :

- بالطبع .. إنه عملنا .. صحيح أننا لا ندرك طبيعة ذلك الجسم

العجيب ، الذي يمكنه أن ينطلق بهذه السرعة المدهشة ، ولكن واجبنا يحتم علينا إبلاغ الرؤساء ، فمن يدري ؟ ربما كان سلاحا جديدا ، أطلقتها إحدى الدول الكبرى .

ثم التقط سماعة الهاتف ، وهو يستطرد في حزم :

- تذكر هذا دائما يا فتى .. ليس من حقنا أبدا أن نقرر أهمية أو عدم

أهمية الأمر .. كل ما علينا هو أن نؤدى واجبنا .. واجبنا فحسب .

تمتم الجندي :

- بالطبع يا سيادة الملازم .. بالطبع .

وهنا أدار الملازم (حسين) قرص الهاتف ..
وأبلغ الرؤساء ..

★ ★ ★

انتهى (خالد) من تضميد ساق (ميكى) ، ومسحت (هبة)
دموعها فى حزن ، وهى تسأل فى قلق :

- هل سيشفى يا أبى ؟

مسح (خالد) على شعرها الأملس الناعم ، وابتسم وهو يغمغم :

- بإذن الله يا حبيبتي ..

بإذن الله .

نهض (ميكى) فى ببطء ،

ورفع ساقه المصابة ، وراح

يتقافز بقوائمه الثلاث ،

فقالته له (هبة) فى فزع :

- لا يا (ميكى) ..

المفروض أن تنام .

ربت والدها على كتفها ،

وقال :

- اتركى (ميكى) لحاله .. الكلاب تعرف كيف تعتنى بنفسها ، أما

أنت فأنا أعتنى بك .. هيا .. سنذهب إلى الفراش ؛ فنحن مجهدان من

طول السفر ، ونحتاج إلى الراحة ، كما أن مولد الكهرباء لن يعمل

طوال الوقت .. أليس كذلك ؟

قالها وحملها فى حنان ، فلوحت بيدها لكلبها ، هاتفة :

- إلى اللقاء يا (ميكى) .. طابت ليلتك .



ثم سألت والدها فى اهتمام :

- لماذا لم يكن لدينا مولد كهرباء فى (القاهرة) ؟

أرقدتها فى فراشها ، وهو يقول :

- لأن محطات توليد الكهرباء كانت تقوم بعمله ، وترسل إلينا كل

ما نحتاج إليه .

سألته وهو يرقد إلى جوارها :

- ولماذا لا تفعل هذا هنا ؟

ضحك قائلاً :

- أسألها .

ثم ضمها إليه ، واستطرد وهو يتثاءب فى إرهاق :

- والآن هيا .. لم أعد أستطيع مقاومة النوم .

كانا مجهدين للغاية ، حتى أنه لم تمض دقائق معدودة ، إلا وكان

كلاهما غارقاً فى نوم عميق ، فاستلقى (ميكى) أرضاً بدوره ، وأغلق

عينيه ، و ...

وفجأة ، اعتدل الكلب فى حركة حادة ، وعادت أذناه تنتصبان فى

تحفز ، ثم أطلق زمجرة خافتة ، وكأنه يخشى إيقاظ النائمين ..

والواقع أنه لو نبح حتى بكل قوته ، لما أمكنه إيقاظهما ، فقد كانا

ينامان فى عمق شديد ، من فرط التعب والإرهاق ..

ولم يستطع الكلب النوم ، بل اعتدل واقفاً ، معتمداً على قوائمه

الثلاث ، على الرغم من قائمته المكسورة ، وتحرك ذيله فى عصبية

واضحة ، ثم اتجه إلى النافذة ، وراح يتطلع عبرها إلى الصحراء

المظلمة فى توتر ، قبل أن يتجه إلى الباب ، ويدفعه بجسده فى قوة ،

٢ - اختفاء غامض ..

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السادسة صباحًا بعد ، عندما دلفت سيارة من سيارات الجيش ، تحمل شعار القوات الجوية ، إلى مبنى الدفاع ، فى شارع (الخليفة المأمون) فى (القاهرة) ، وأدى حارسا المدخل التحية العسكرية فى احترام ، حتى تجاوزتهما السيارة ، ثم همس أحدهما لزميله :

- ماذا حدث ؟ .. لقد وصل كل قادة القوات الجوية تقريبًا !! ... هل اندلعت الحرب ؟

أجابه زميله :

- لو أن هذا ما حدث لعرفنا على الفور ، ثم إنها لن تكون حربًا جوية فحسب .. من الواضح أنه هناك أمر ما ، يستحق هذا الاجتماع الطارئ ، فى السادسة صباحًا ، ثم إنه لا يخص القوات الجوية فحسب ، فقد حضر كل قادة الدفاع الجوى أيضًا .

مطّ الأول شفّتيه فى حيرة ، وهو يغمغم :

- ترى ما الأمر بالضبط ؟

هزّ زميله رأسه ، وهو يجيب :

- لن يمكننا أن نستنتج هذا أبدًا .

ثم أدار عينيه إلى الطابق ، الذى يحوى حجرة وزير الدفاع فى المبنى ، قبل أن يغمغم مستطرذا :

- ولكنه بالتأكيد أمر خطير .. خطير للغاية .

لن يكن كلاهما يدرك أنه فى هذه اللحظة بالذات ، كان كل قادة

حتى انفتح ، فتقافز على قوائمه الثلاث السليمة ، وأدار رأسه وسط الظلام ، وكأنه يبحث عن شيء ما ، ثم استدار يتطلّع إلى نقطة ما ، فوق سطح المنزل ، وقد تضاعف توتره ، وتزايدت عصبيته فى شدة ، وراح يزمجر وينبح ..

ثم تراجع (ميكى) مذعورًا ، عندما انبعث ضوء قوى مباغت ، من جسم ما ، على ارتفاع ثلاثة أمتار من سطح المنزل ..

كان الضوء يسطع بشدة ، حتى بدا وكأنه شمس صغيرة ، وتراجع (ميكى) فى هلع ، وراح ينبح ، وينبح ، وتسَلَّ نباحه إلى أذنى (هبة) ، فتمتمت دون أن تفتح عينيهما :

- توقف عن النباح يا (ميكى) .. أريد أن أنام .

كان الضوء يغمر الحجرة ، التى تنام فيها مع والدها ، ولكن حتى هذا لم يفلح فى إيقاظهما ، ونبح (ميكى) مرتين إضافيتين ، ثم أطلق عواءً مذعورًا ، وبعدها ران الصمت تمامًا على المكان ، وخبا الضوء الساطع ، وعادت الصحراء إلى طبيعتها فى الليل ، هادئة ، ومظلمة .. ومخيفة .

★ ★ ★

الدفاع الجوى والقوات الجوية يجلسون حول مائدة الاجتماعات ،
وزير الدفاع يشير بعصاه إلى خريطة كبيرة ، وهو يقول فى اهتمام
بالغ :

- لقد تم رصد هذا الجسم الغريب فى سبع مراكز دفاع جوى
ورادار ، فى الليلة الماضية ، منذ غروب الشمس ، وحتى منتصف
الليل ، والمراكز التى تم رصده عبرها هى بالترتيب : مركز (حلايب) ،
ومركز (أسوان) ، والرادار الموجود خارج (ادفو) ، ومركز الدفاع
الجوى فى (قنا) ، ثم مركز (أسيوط) ، ومركز (بنى سويف) ،
وأخيراً مركز الدفاع الجوى الرئيسى للعاصمة .. وهذا يعنى أن الجسم
يتحرك فى اتجاه الشمال الغربى ، والسرعة التى سجلتها كل أجهزة
الرصد تثير القلق ، فهى تفوق السرعة المعروفة ، لكل الطائرات
وأحدث الأجهزة ، التى اخترعتها الدول الكبرى مؤخرًا ، وتقارير
المخابرات ، التى أطلعها منذ الواحدة والنصف صباحًا ، تنفى وجود
سلاح كهذا ، ثم إنه لم ترد أية بلاغات ، عن سقوط نيزك ما ، أو ارتطام
أى جسم غريب فى المنطقة كلها .. أضيف إلى هذا أن كل أجهزة
الرصد ، ومراكز الدفاع الجوى ، المنتشرة على سواحلنا ، وحتى على
الحدود المصرية الليبية ، لم تسجل رؤيتها لهذا الجسم قط ، مما يعنى
أنه لم يتجاوز الحدود ، ولم يكمل سيره .. لقد توقف فى مكان ما من
الصحراء الغربية .

ورسم بعصاه دائرة وهمية على الخريطة ، تضم (مديرية
التحرير) ، و (كوم حمادة) ، ومنطقة وادى (النظرون) ، وهو
يستطرد :

- هنا تقريبًا .

سأله أحد قادة القوات الجوية :

- إنها مساحة شاسعة ، كيف يمكن فحصها كلها ؟
أجابه وزير الدفاع :

- سنضع خطة للاستطلاع الجوى ، يتم خلالها تقسيم المنطقة إلى
أربعة أجزاء ، ثم تمسح قواتنا الجوية المكان كله بأجزائه الأربعة ،
فى وقت واحد .
قال أحد القادة :

- هذا يحتاج إلى ثلاثين طائرة على الأقل .

وأضاف قائد آخر :

- نصفها من طائرات هليكوبتر .

أشار وزير الدفاع بعصاه مرة أخرى ، وهو يقول :

- سنستخدم نصف سلاحنا الجوى ، لو لزم الأمر ، حتى نكشف
ما يحدث على أرضنا .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يستطرد :

- إنه أمر بالغ الخطورة أيها السادة ، فالدراسات الأولية مخيفة
للغاية .

سأله أحد قادة الدفاع الجوى فى قلق :

- هل لنا أن نعرف ما الذى توصلت إليه الدراسات ؟

أجابه وزير الدفاع فى لهجة خاصة ، تشف عن إحساسه بمدى
أهمية وخطورة الأمر :

- الدراسات تؤكد أننا نواجه محاولة من جهات معادية ، للسيطرة
على المجال الجوى المصرى ، وهذا يعنى أيها السادة أننا - لو صح
هذا القول - قد نخضع - فيما بعد - لما هو أكثر خطورة من هذا .

ودارت عيناه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يضيف فى حزم :
 - للاحتلال .. ستحتلنا قوة تفوقنا إلى حد كبير فى درجة التسليح .
 قال قوله هذا ، فأتسعت العيون كلها لحظات ، قبل أن تحتقن الوجوه
 فى شدة ..
 لقد أدركوا الآن أن الخطر كبير ..
 كبير للغاية ..

★ ★ ★

« (ميكى) .. (ميكى) .. أين أنت؟ .. »
 هبّ (خالد) من نومه فزعًا ، على صوت ذلك الهتاف ، الذى يحمل
 صوت ابنته ، وألقى نظرة سريعة على ساعة يده ، التى أشارت
 عقاربها إلى السادسة صباحًا ، وغمغم وهو يرتدى خفًا منزليًا ،
 ويسرع إلى باب المنزل :
 - يبدو أن إحساس (هبة) بالفراغ يدفعها للعب مع (ميكى) ، فور
 استيقاظها .

أدهشه أن يرى ابنته وحدها فى الخارج ، والدموع تفرق عينيه ،
 فسألها فى قلق :

- ماذا حدث؟ .. أين (ميكى) ؟

انهمرت دموعها فى غزارة ، وهى تقول :

- لست أجده .. لقد استيقظت فلم أجده بالمنزل ، ورأيت الباب
 مفتوحًا ، فتصوّرت أنه يلهو وحده بالخارج ، ولكننى لم أعثر له على
 أثر .

رَبَّت (خالد) على كتف ابنته فى حنان ، وهو يدير عينيه فيما
 حوله . ويقول :

- اطمئنى .. إنه لن يذهب بعيدًا .. لا يوجد مكان يمكنه الذهاب
 إليه . سيعود حتمًا بعد قليل .

قالت باكية :

- ولكنه كان يستجيب دائمًا لندائى .

لَوْح بكفه ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

- ربما كان أبعد من أن يسمعه .

ثم عاد يربّت على كتفها فى حنان مشفق ، مستطرذا :

- اطمئنى .. كل الكلاب تعود إلى أصحابها ، إنها حاسة خاصة لديهم .

تطلّعت إليه فى حزن ، وهى تسأله :

- أنت واثق من هذا ؟

أشار بسبّابته فى حركة مسرحية ، وهو يقول :

- تمام الثقة .

ثم انحنى يحملها ، وهو يضيف :

- ولكن دعينا نتناول طعام الإفطار أولًا ، وننتظر عودته .

حاول أن يداعبها ويمازحها ، وهما يتناولان طعام الإفطار ، إلا

أنها ظلت حزينة شاردة الذهن ، تتطلّع كل حين وآخر إلى النافذة ،

وكانها تنتظر عودة (ميكى) فى أية لحظة ..

وكان هذا يؤلم (خالد) أيضًا ؛ فهو يعلم أنها شديدة التعلّق بكلبها .

وخاصة بعد قدومهما إلى ذلك المكان المنعزل ، الذى لم يعد لها فيه

صديق سواه ..

ولكنه أقنع نفسه بأن (ميكى) سيعود حتمًا ، ونقل هذا إلى ابنته ، وهو يقول :

- لا تقلقى نفسك كثيرًا بشأن (ميكى) .. لا يوجد ما يمنعه من العودة .. ثم إنه يحبك ، ولا يمكنه أن يتركك وحدك .

أجابته والدموع تسيل على وجنتيها :

- أمى أيضًا كانت تحبنى ، ولكنها تركتني ورحلت .

تطلع إليها لحظة فى عطف وشفقة ، واسترجع شيئًا من ذكرياته مع أمها ، التى تزوجها فور تخرجها من كلية الزراعة ، وبدأت الدموع تتفرق فى مقلتيه أيضًا ، وهو يتمتم :

- أمك لم ترحل بإرادتها يا (هبة) .. لقد اضطرت لذلك .

مسحت الصغيرة دموعها ، وهى تتطلع عبر النافذة ، قائلة :

- ربما اضطر (ميكى) أيضًا إلى الرحيل .

انعقد حاجباه فى شدة ، عندما سمع عبارتها ، وقفز إلى ذهنه بغتة مشهد وهمى للكلب ، وهو يغادر المنزل ، ويتجه إلى البئر القديمة ، ويثب إلى حاجزها الصغير ، ولكن قائمته المصابة تخل بتوازنه ، فيهبوى إلى الداخل هذد المرة ، و ...

والتفت فى هلع إلى البئر ، وحدثق فيه لحظة ، عبر النافذة المفتوحة ، قبل أن ينهض قائلاً :

- هيا يا صغيرتى .. سأريك كيف يجلبون الماء من البئر .

تبعته ، وهى تسأله فى لهفة :

- هل ستعلمنى كيف أحضره بنفسى ؟

أجابها وهو يسرع الخطا نحو البئر :

- بالتأكيد يا صغيرتى .. بالتأكيد ..

تردّد لحظة ، وهو يقف أمام البئر ، ثم انحنى فى حذر ، وألقى نظرة متوترة على قاعه ، وهو يتوقع رؤية جثة طافية هناك ..

ولكنه كان مخطئًا ..

لم يكن هناك أى شىء فى قاع البئر ..

فقط مياه نظيفة ، تعكس صورة السماء الزرقاء ، ويتحرك سطحها فى هدوء ، مع تساقط قطرات الندى من جدران البئر ..

وتنهّد (خالد) فى ارتياح ، وهو يغمغم :

- حمدًا لله .. إنه ليس هنا .

سألته ابنته فى حيرة :

- من تقصد يا أبى ؟

ربت على كتفها ، وهو يقول :

- لا شىء يا صغيرتى .. لا شىء .

وهمّ بالابتعاد عن البئر ، عندما لمح بغتة ذلك الشىء ..

جسم ما ، تحرك حركة خفيفة تحت الماء ، ولكنها كانت كافية ليتوتر السطح ، وتراقص مياهه على نحو ملحوظ ، جعل (خالد) يحدثق فيه لحظات ، ويتمتم فى توتر :

- أمن الممكن أن ..

بتر عبارته بسرعة ، وارتجف وهو يتصوّر جثة الكلب تحت السطح ، ثم اعتدل وقال لابنته :

- سأهبط لفحص الماء .

سألته فى براءة :

- هل يوجد سلم هنا ؟

أشار إلى الحبل الغليظ ، الملتف حول القائم الخشبي ، الذي كان يستخدم لتدلية الدلو القديم ، وقال :

- سأستخدم هذا الحبل .

سألته في حماس :

- هل يمكنني أن أصحبك ؟

ضحك ، وهو يمسح على شعرها ، قائلاً :

- ومن سينقذني إذن ، إذا ما احتجت إلى معاونة ؟
هتفت بسرعة :

- أنا .. أنا الابنة الجميلة ، التي ستنقذ والدها .

ضحك مرة أخرى ، وهو يقول :

- نعم .. أنت كذلك .

وأدار الرافعة الخشبية ، حتى تدلى الحبل إلى قرب القاع ، ثم

أمسكه في قوة ، وتخطى حاجز البئر ، وهو يقول :

- انتظري هنا ، ولا تحاولي النظر إلى أسفل .. هل تفهمين ؟
أجابته في بساطة :

- نعم .. أفهم . لن أنظر إلى أسفل .

أمسك الحبل في قوة ، وألصق قدميه بجدار البئر ، وراح ينخفض في ببطء ، وقلبه يخفق في عنف ..

ماذا لو عثر بالفعل على جثة (ميكى) ، في قاع البئر ؟ ..
كيف يواجه ابنته حينئذ ؟ ..

كيف يمكنه حمايتها من الانهيار حزناً ؟! ..

ظلت هذه الأفكار تراوده ، وهو يقترب من سطح الماء في قاع البئر



رويذا رويذا ، حتى أصبح على ارتفاع نصف المتر منه ، وغاصت قدماه في الماء بالفعل ، وسمع ابنته تهتف :

- هل عثرت على شيء ما يا أبي ؟

دفع قدميه في الماء ، بحثاً عن أى جسم صلب ، وهو يقول :
- لا .. ليس بعد .

كان من الواضح أن الكلب لم يسقط في البئر ، فالجثة لا يمكنها أن تغوص إلى أعماق من هذا ..

عبث بقدميه في الماء مرة أخرى ، وهو يقول :
- لا يوجد أى شيء هنا .

لم يكذب ينطقها حتى ارتطم جسده بشيء ما ..

شيء في صلابة المعدن ، ولكنه ابتعد عن قدمه في حركة سريعة مقصودة ، وكأنه جسم حي ..

وجفل (خالد) في عنف ، مع حركة ذلك الشيء ، وأفلتت يده الحبل ، فهوى في البئر ، وعلى الرغم من حرارة الجو في الخارج ، كانت مياه البئر باردة ، وهو يغوص فيها ، وذراعاها تضربانها في قوة ، في محاولة للارتفاع إلى السطح ، بعد أن أوضح له الغوص أن البئر أعماق مما كان يتوقع ..

وفجأة ، رأى أمامه ذلك الشيء ..

مجرد زوج من الأعين يحدق فيه ، ويشع بريقاً أخضر مخيفاً .. وشهق (خالد) في قوة ، عندما برز أمامه ذلك الشيء ، مع شهيقه ، ابتلع كمية من مياه البئر الباردة ، واختنق صدره في شدة ، وتهاكت أطرافه ، ثم أظلم عقله تماماً ..

في أعماق البئر ..

★ ★ ★

انطلقت طائرات الهليكوبتر الثلاث ، تستكشف تلك المنطقة من الصحراء الغربية ، وضغط قائد الفريق الصغير زر جهاز الإرسال اللاسلكي ، وهو يقول :

- من (نسر - ١) إلى القاعدة .. تم فحص المنطقة كلها ، ولا يوجد أثر لأى جسم غريب .

أتاه الرد من القاعدة ، يقول :

- فليكن يا (نسر - ١) .. قم بدورة أخرى ، ثم عد مباشرة إلى القاعدة .

أجابه قائد فريق البحث :

- وصلت الأوامر ، وسيتم التنفيذ .

وانطلق بطائرته يجوب المنطقة للمرة الثالثة ، وهو يسأل زميليه ، عبر جهاز الاتصال ، على موجة البث الداخلية :

- هل يرى أحدكما شيئاً ؟

أجابه الأول :

- كلاً .. كل شيء يبدو لى على مايرام .

وقال الثانى فى ضجر :

- إننا لم نر منذ أقلعنا ، سوى الرمال الصفراء ، وتلك البيوت

الصغيرة ، فى المنطقة التابعة لهيئة الاستصلاح .

ضحك القائد ، وقال :

- هل يمكنك أن تتخيل أن بشراً يمكنهم العيش فى مثل هذا المكان ؟

أجابه الأول :

- للضرورة أحكام يا صديقى .. من يدري ؟ .. ربما اضطر ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

- ربّاه !.. هناك .

سرى توتر مباغت في جسدى زميليه ، وسأله القائد في لهفة :

- ماذا هناك ؟

أجابه بسرعة :

- هناك .. عند الساعة الرابعة (*) .. إنه في لون رمال الصحراء

تمامًا ، ولكن أشعة الشمس انعكست منذ لحظات على جزء منه .

تحرك الثلاثة في آلية ، نحو البقعة التي أشار إليها ، وانعقد حاجبا

القائد ، وهو يقول في دهشة :

- هذا صحيح .. لقد رأيته .. إنه أشبه بقبة قديمة .. عجبًا !.. كيف

لم ننتبه إليه من قبل !؟

اقتربوا أكثر من ذلك الجسم ، الذي بدا كقبة كبيرة ، يبلغ نصف

قطر قاعدتها حوالى خمسة أمتار ، وتلتصق رمال كثيفة بسطحها ،

فيما عدا بقعة واحدة ، هي تلك التي انعكست عليها أشعة الشمس ..

وفي توتر ملحوظ ، التقط القائد مسماع جهاز اللاسلكى ، وهتف :

- من (نسر - ١) إلى القاعدة .. لقد عثرنا على شيء ما .

أجابه مراقب القاعدة في لهفة :

- شيء مثل ماذا ؟

(*) يستخدم رجال الطيران هذا المصطلح ، لتحديد موقع الأهداف في المعتاد ،

والمقصود هنا ليس التوقيت ، ولكن الموضع الذى يحتله عقرب الساعات ،

بافتراض أن المنطقة التى يتطلعون إليها هي ساعة كبيرة ، وهذا الأسلوب مألوف

في معظم الدول .

قال القائد :

- جسم أشبه بقبة كبيرة .. لست أدري ما هو بالضبط ، ولكنه

لا يشبه أى شيء أعرفه .

مضت لحظات من الصمت ، ثم قال مراقب القاعدة :

- هل يمكنكم الاقتراب منه يا (نسر - ١) ؟

أجابه القائد :

- نحن نحلق على ارتفاع سبعة أمتار منه بالفعل ، وندور حوله

طوال الوقت ، ولكننا لانلمح فيه أية مداخل أو نوافذ ، باستثناء بقعة

صغيرة ، من مادة أشبه بالزجاج ، ويبدو أنها نافذة مراقبة .

سأله مراقب القاعدة :

- وهل يمكنكم الاقتراب من تلك البقعة ، أو النظر عبرها ؟

أجابه القائد في حزم :

- سنبذل قصارى جهدنا .

وأكملت الطائرات الثلاث دورتها الأخيرة ، ثم حلقت في الهواء ،

وأوقفتها مراوحها الأفقية على مسافة قريبة من تلك البقعة نصف

الشفافة ، وقال القائد ، وهو يتطلع إليها فى اهتمام :

- إنها بالفعل أشبه بالنافذة ، ولكنها لا تشف عما خلفها جيدًا ..

ولكن مهلاً .. يبدو أنه هناك شيء ما يتحرك خلفها .. يا إلهى !.. إنها

تتفتح فى ببطء .. وحجمها يتسع بشدة .. ثرى ما الذى يحدث داخل

هذا الشيء بالضبط .. سأحاول أن أقترب أكثر .

هتف به صوت المراقب ، عبر أجهزة الاتصال .

٣ - حالة طوارئ ..

ظلام دامس يغلف كل شيء ، وتسبح فيه عيون خضراء لامعة ،
أحاطت كلها بابنته (هبة) ، التي صرخت تستجد به :

- أبي .. أبي .

حاول أن يمد يده إليها ، ولكن راحته كانت ثقيلة ، وكان عظامه
تحولت داخلها إلى كتلة من الصلب ، وعندما أراد أن يصرخ ، اختنقت
الكلمات في حلقه ، فراح يحرق مذعورًا في تلك العيون الخضراء ،
التي تجذب ابنته بعيدًا ، وهي تهتف :

- أبي .. أبي .



وفجأة ، أصبح صوتها مسموعًا في وضوح ، وتردد داخل رأسه
واضحًا ، وشعر معه بيد (هبة) الصغيرة تهزه ، واشتم رائحة الدموع

- لا تقترب أكثر يا (نسر - ١) .. هذا يكفي .. عد إلى القاعدة
على الفور .

أجابه القائد في توتر :

- ولكن هناك شيء ما يخرج من تلك النافذة .. ربّاه ! .. إنه ...
وتوقف البث بغتة ، على نحو جعل مراقب القاعدة يعقد حاجبيه

في توتر شديد ، وهو يقول :

- من القاعدة إلى (نسر - ١) .. ماذا حدث عندك ؟ .. أجب ..

من القاعدة إلى (نسر - ١) .. نريد تقريرًا فوريًا عن موقف فريقك .

ردّد مراقب القاعدة النداء عشرات المرات ، ولكن فريق (نسر - ١)

لم يستجب ..

لقد اختفى الفريق كله ..

اختفى تمامًا .

★ ★ ★

الممتزجة بصوتها ، ففتح عينيه يحدق نى وجهها بدهشة . قبل أن يهتف :

- (هبة)؟!.. أين أنا ؟

أطلقت الصغيرة لدموعها العنان ، وهى تعانقه فى حرارة ، وتهتف :

- لقد عدت إلى يا أبى .. لم ترحل مثل أمى .. كم شعرت بالخوف ، عندما تركتني وحدى هنا .

أدار عينيه فى دهشة ، وهو يتطلع إلى حجرة نومه ، التى تحيط به ، ثم سألها فى حيرة بالغة :

- كيف أتيت إلى هنا .. ألم أسقط فى قاع البئر ؟

رأها ترمقه بنظرة دهشة ، وهى تقول :

- تسقط فى قاع البئر؟!.. ألم يكن هذا حلما ؟

سألها فى توتر :

- ولماذا تصوّرت أنه حلم ؟

بدت الحيرة على وجهها لحظات ، ثم لم تلبث أن هزّت رأسها الصغير ، وقالت :

- إنه حلم بالتأكيد .. لقد حلمت أنك هبطت فى هذه البئر ، ثم سمعتك

تسقط فيه ، فرحت أصرخ مذعورة ، حتى فقدت الوعي .

سألها بسرعة :

- وماذا حدث بعد أن فقدت الوعي ؟

هزّت كتفها ، وقالت فى بساطة :

- استيقظت من النوم ، وعرفت أنه حلم ، عندما وجدت نفسى نائمة

فى فراشى إلى جوارك ، ولكننى شعرت بالخوف ، عندما حاولت إيقاظك ؛ لأقص عليك حلمى .

التقى حاجباه ، وهو يتطلع إلى ابنته فى توتر بالغ ..

إنه يعلم أن ما رأته لم يكن حلما ..

من المستحيل أن يحلم هو وهى بالواقعة نفسها ..

ثم إن ما شعر به كان أقوى من الأحلام ..

صحيح أن جسده وملابسه جافان ، ولكنه واثق من أنه قد سقط

فى مياه البئر الباردة بالفعل ، ورأى تلك الأعين المخيفة ..

وفى حزم ، غادر فراشه ، ووقف يتطلع إلى البئر عبر النافذة ،

ويفحص الطريق الرملى ، الذى يوصله بالمنزل ..

لم تكن هناك أية علامات ، تشير إلى حركة جسم ما ، فيما عدا

آثار قدميه وقدمى ابنته ، عندما ذهبا إلى البئر ، و ...

وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، مع سؤال وثب إلى ذهنه بغتة ..

لماذا تبدو آثار أقدامهما فردية ، فى اتجاه واحد ؟

تحرك بسرعة ليغادر المنزل ، وانحنى يفحص الآثار فى اهتمام ،

قبل أن يعتدل ، مغمما :

- كنت على حق .

كانت الرمال تحمل آثار قدميه وقدمى ابنته فى وضوح ، وهى

تتجه من المنزل إلى البئر ، ولكن لم يكن هناك أدنى أثر لهما ، يشير

إلى عودتهما منه ..

وهذا يعنى أنهما لم يعودا على نحو طبيعى ..

نقد أعادهما شىء ما إلى المنزل ..

شئ لم يظأ رمال الصحراء قط ..

شئ يرقد في قاع البئر ..

وتطلع لحظات إلى البئر في توتر بالغ ، ثم تمتع في خفوت :

- ما أنت بالضبط ؟

سألته (هبة) في حيرة :

- إلى من تتحدث يا أبى ؟

مسح بيده على شعرها ، وهو يقول في شرود :

- إتنى أفكر فحسب يا صغيرتى .

عندما أجابها بهذا القول ، كان غارقاً في التفكير بالفعل ، وكانت الفكرة الوحيدة التى تملأ رأسه هى : هل يبقى فى هذا المنزل ، على الرغم من كل ما يحدث ، أم يعود بابنته إلى (القاهرة) ؟!..

ولكن كيف يعود إلى (القاهرة) ، بعد أن باع كل ما يمتلكه ، وأنفق معظم مدخراته ، لشراء هذا المكان ؟..

وفى هذه اللحظة ، امتلأت نفسه بشعور سخيـف ..

شعور بالضياـع ..

الضياـع التام ..

★ ★ ★

بدا الموقف شديد التوتر فى قيادة القوات الجوية ، واجتمع كبار القادة فى غرفة العمليات ، وراحوا يفحصون خريطة مجسمة لمنطقة الصحراء الغربية ، وأشار قائد القوات الجوية إلى نقطة ما ، وهو يقول :

- هنا اختفى فريق (نسر - ١) .. ثلاث طائرات هليوكوبتر مقاتلة ،

من أحدث طراز ، اختفت تماماً ، دون أن تترك أدنى أثر .. لا حطام ،

لا بقع زيتية ، ولا حتى شظايا صغيرة .

قال أحد اللواءات فى توتر :

- وتلك الرسالة التى تلقتها منهم أجهزة المراقبة ، قبل اختفائهم

مباشرة تثير الكثير من الحيرة والقلق .. بل ولن أخجل من القول :

بأنها تملأ نفسى بخوف مبهم .

أجابه لواء آخر :

- ليس هذا شعورك وحدك .. لقد قرأت الرسالة أكثر من عشر

مرات ، وبدالى الأمر وكأنه واحد من أفلام الخيال العلمى ، التى طالما

سخرنا منها .

سأله قائد القوات :

- ماذا تعنى بالضبط ؟

لوح اللواء بذراعه كلها ، وهو يقول :

- كنت أعتقد أن هذا يبدو واضحاً .. جسم غريب يظهر فى

السماء ، ويتحرك بسرعة تفوق أكبر السرعات المعروفة ، فى عالم

الطيران ، وقبة عجيبة تظهر فى الصحراء الغربية ، وعندما تقترب

منها طائرات هليوكوبتر لفحصها ، تختفى الطائرات بغتة .. ألا يبدو

التفسير منطقياً واضحاً ، على الرغم من غرابته يا سادة ؟!..

ودار بعينه فى وجوه الحاضرين جميعاً ، قبل أن يهتف :

- الأطباق الطائرة .

وعلى الرغم من أن الجميع كانوا يتوقعون هذا القول ، إلا أن

الدهشة ملأت وجوههم ، وهم يهتفون فى استنكار :

- الأطباق الطائرة؟! .. أى قول هذا يا رجل؟! .. أطباق طائرة هنا فى (مصر) ؟

أجابهم اللواء فى إصرار :

- نعم .. أطباق طائرة هنا فى (مصر) .. ما الذى يمنع هذا؟! .. لقد شوهدت الأطباق الطائرة فى معظم بلدان العالم ، وحتى فى دولة (الكويت) (*) ، ونحن نعلم - بحكم عملنا - أن بعض هذه المشاهدات حقيقية ، وليس لها أى تفسير آخر ، ولقد قرأنا جميعاً ، منذ عدة أعوام ، التقرير السرى ، الذى وضعته المخابرات المركزية الأمريكية ، حول ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة الهوية ، والذى أكدت فيه وجودها ، بما لا يدع مجالاً للشك ، فما الذى يمنع وجودها فى (مصر) إذن ؟

ران الصمت على المكان بضع لحظات ، تبادل فيها الجميع نظرات قلقة ، قبل أن يقطع قائد القوات الجوية حبل الصمت ، قائلاً فى حزم :
- فليكن .. سنضع هذا الاحتمال فى الاعتبار ، ولكننى ما زلت أميل إلى احتمال أن يكون هذا مجرد سلاح جديد ، قرّر البعض استغلال صحرائنا الغربية لتجربته .

ثم شد قامته ، مستطرداً :

- ولكن هذه ليست المشكلة الفعلية .

سأله أحد الضباط :

- وما المشكلة الفعلية إذن ؟

(*) حقيقة .

صمت القائد لحظات ، التقط خلالها نفساً عميقاً ، ومطّ شفتيه ، قبل أن يقول فى توتر :

- لقد فحصنا المنطقة كلها ، التى اختفت فيها طائرات الهليوكوبتر الثلاث ، وكما اختفت الطائرات ، فإننا لم نعثر أيضاً على أدنى أثر لذلك الشيء الذى تحدّثوا عنه قبيل اختفائهم .. لقد اختفت تلك القبة تماماً ، وكأنها لم تكن هناك أبداً .

سأله أحد الرجال :

- وما الذى يمكننا أن نفعله الآن ؟

تنهّد القائد ، وقال :

- من حسن الحظ أن المنطقة كلها شبه خالية ، ولا تضم سوى بعض المنازل ، فى منطقة استصلاح الأراضى الجديدة ، ولقد أكدت لنا اتصالاتنا ، أنه لا يوجد سوى القليل منها مأهولاً ، والباقى لم تتم أعماله بعد ؛ لذا فقد قرّرت الاستعانة بسلاح المشاة ، للبحث فى المنطقة كلها .

هتف أحد الرجال :

- سلاح المشاة؟! .. كيف يحدث هذا؟! .. المعتاد هو أن المشاة هم

الذين يطلبون مساعدة الطيران .

أجابه القائد فى حزم :

- لسنا هنا بصدد التنافس بين وحدات الجيش المختلفة .. هذه القبة ، لو أن لها وجوداً حقيقياً ، تجيد التمويه وإخفاء نفسها ، تحت ساتر من الرمال ، وهذا يمكنه أن يخدع الطائرات المحلقة فى السماء ، ولكنه لن يخدع المشاة قط .. هل فهمت ؟

أوما الرجل برأسه إيجابيا ، وإن لم تشف ملامحه عن الاقتناع ، فالتفت القائد إلى اللواء ، صاحب فكرة الأطباق الطائرة ، وقال :
- لو صحت فكرتك ، فسيبنى هذا أننا أمام موقف خطير .. بل وخطير للغاية .. إننا يا سادة لن نكون فى حالة حرب مع خصم من عالمنا ، بل سنواجه غزاة من عالم آخر .. غزاة من وراء النجوم .
قالها ، فعاد الصمت يغلف القاعة كلها ، ولكنه لم يكن صمًا عاديًا هذه المرة ، بل كان صمًا مغموسًا فى الكثير من الرهبة ..
أو من الرعب ..

★ ★ ★

لم تكد الشمس تميل إلى الغروب ، حتى امتلأت نفس (خالد) بالتوتر والقلق ، وراح يتطلع إلى الأفق فى خوف ، وكأنما يتوقع أن يتحول قرص الشمس بغتة إلى زوج من الأعين الخضراء ، وينقض عليه كوحش كاسر ..

ومن خلفه ، راحت ابنته (هبة) ترُد فى حزن :

- (ميكى) لم يعد بعد يا أبى .. أين ذهب ؟ .. لماذا اختفى ؟
رَبَّت عليها فى حنان ، قبل أن يبدأ فى تشغيل المولد الكهربى ، وهو يجيب :

- سيعود يا صغيرتى .. سيعود بإذن الله .

قالها بلهجة لم تنجح حتى فى إقناعه هو ، ولكنه لم يجد ما يقوله سواها ؛ فهو يشعر بحيرة تفوق حيرتها ، كلما فُكّر فى أمر اختفاء الكلب ..

لقد فحص المنطقة المحيطة بالمنزل كلها ، ولكنه لم يعثر سوى

على آثار حديثة له ، بأطرافه الثلاثة ، تبدأ من باب المنزل ، وتمتد لثلاثة أمتار ، ثم تنقطع بغتة ، وكأنما طار الكلب فى الهواء ، أو ... أو سحبه شيء ما إلى أعلى ..

وارتجف جسده مع الاحتمال الثانى ، ورفع عينيه إلى السماء ، وكأنه يتوقع رؤية ذلك الشيء فوقه ، ثم عاد يخفضهما إلى حيث تقف (هبة) ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

- والآن ينبغى لصغيرتى الجميلة أن تتناول طعام العشاء ، ثم تخذلى إلى النوم .. أليس كذلك ؟
قالت باحتجاج متخاذل :

- ولكن (ميكى) لم يعد بعد .

انحنى يحملها ، ويضعها إلى صدره فى حنان ، وهو يقول :

- سيعود يا صغيرتى .. صدقيني .. سيعود بإذن الله .
سألته فى اهتمام :

- هل تعدنى يا أبى ؟

لم يكن بإمكانه أن يلقي مثل هذا الوعد ، ولكنه غمغم :

- أعدك يا صغيرتى .

طبعت قبلة على خده ، وهى تقول :

- أشكرك يا أبى .. أشكرك كثيرا .

كان التوتر يملأ نفسه بحق فى هذه الليلة ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يكذب تناول طعام العشاء ، حتى بدأ رأسه يتأقل ، فقال لابنته :



- سأوقف المولد الكهربى ، ولنذهب إلى الفراش .

قالت محتجة :

- ولكننى أخشى النوم فى الظلام .

قال ، وهو يحملها إلى الفراش :

- سنوقد شمعة كبيرة ، داخل قدح من الماء ، ونضعها فى حجرة

النوم .. هل يروق لك هذا ؟

طبعت قبلة أخرى على خده ، وهى تقول :

- أنا أحبك كثيرا يا أبى .

كان المفروض أن يروى لها قصة (سندريلا) للمرة الألف ، على ضوء الشمعة المتراقص ، ولكنه لم يكذب تلك المرحلة ، التى فقدت فيها (سندريلا) حذاءها (*) ، حتى راح فى سبات عميق ، فهتفت (هبة) محتجة :

- وماذا بعد .. ماذا بعد أن فقدت الحذاء ؟

ولكن (خالد) لم يسمعها ، وهو غارق مع أحلامه ، فمطت شفيتها الصغيرتين ، وعقدت ذراعيها أمام صدرها ، وهى تقول :

- سأخاصمك لأنك لم تروى لى الجزء الطريف ، عندما كان الجميع

يقيسون حذاء (سندريلا) ؛ ليتزوجوا الأمير .

(*) سندريلا : قصة شعبية ، غير محدودة المصدر ، ولكنها ظهرت مطبوعة فى كتاب يحمل اسم (قصص الماضى) ، من تأليف (تشارلز بارالت) عام ١٦٩٧ م ، وهى تحكى عن فتاة صغيرة ، تحيا مع زوجة أبيها ، التى تسوء معاملتها بشدة ، لحساب ابنتيها ، ثم يقيم الأمير حفلا ، وترفض زوجة الأب ذهاب (سندريلا) إليه ، ولكن جنبة طيبة تساعد (سندريلا) على حضور الحفل ، ويحبها الأمير ، ويتزوجها عندما يناسب الحذاء الذى تركته خلفها قدمها .

كانت تحفظ القصة عن ظهر قلب ، ولكنها لا تمل سماعها على لسان والدها ، ثم إنها لم تشعر بالرغبة فى النوم ، وكانت تحتاج إلى من يؤنس وحدتها ، فطلت جالسة على الفراش طويلا ، قبل أن تغمغم فى ضيق :

- أين أنت يا (ميكى)؟! .. لماذا تركتني وحدى ؟

زفرت مرتين فى تدمر ، ثم قضت بعض الوقت فى مراقبة ذبالة الشمعة المتراقصة ، (إلا أنها لم تلبث أن قالت فى ضجر :

- لماذا لا يأتيني النوم ؟

تراجعت بظهرها لتنام ، عندما لاحظت بغتة ، عبر النافذة ، أن الضوء قد انبعث فى المخزن ، فاعتدلت بحركة سريعة ، وهتفت :

- أبى .. يبدو أنك لم توقف عمل المولد .

لم يجب (خالد) ؛ لأنه لم يسمع حرفا واحدا من هتافها ، مع نومه العميق ، ولكنها غادرت الفراش ، وأسرعت إلى النافذة ، تتطلع منها إلى المخزن ، الذى أطلقت نوافذه كلها ضوءا أبيض ، وخيل إليها أن جسما صغيرا قد اندفع نحو الباب ، وعبره فى لمحة خاطفة ، فهتفت فى سعادة :

- (ميكى) .. هل عدت !؟

قالتها وأسرعت تفتح باب المنزل ، وجرت نحو المخزن ، وهى تنادى كلبها الغائب ، ولكنها لم تكذب تصل إلى هناك ، حتى توقفت أمام الباب نصف المفتوح ، وبدا لها ذلك الضوء الأبيض جميلا ، باعنا على الارتياح ، والتقطت أذناها أصواتا مختلفة من الداخل ، أشبه

بصوت مجموعة من القطط ، تلهو مغا ، أو تعبث ببعض بكرات الخيط الطويلة ، فابتسمت (هبة) ، وغمغمت :

- (ذن فأنت تلعب يا (ميكى) .

ودفعت الباب فى رفق ، ثم دلفت إلى المخزن ، ولم تكذ تفعل ، حتى اتسعت عيناها فى دهشة ، وذابت الابتسامة على شفثيها ..

إنه لم يكن كلبها (ميكى) ، ذلك الذى يلهو داخل المخزن ، بل كان ماتراه أمامها شيئاً عجيباً ، يتجاوز كل توقعاتها ..

بل يتجاوز الحدود نفسها ..

حدود العقل .

★ ★ ★

٤ - الغموض يتزايد ..

استيقظ (خالد) فى الصباح التالى ، وهو يشعر بارتياح بالغ ، بعد النوم العميق الذى غرق فيه ، منذ مساء اليوم السابق ، وتطلع إلى ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى السادسة والرابع ، ثم استدار يلقي نظرة حانية على ابنته ، التى توسدت راحتها ، وراحت فى سبات عميق ، ومد يده يداعب أنفها ، وهو يقول :

- استيقظى يا أميرتى .. لقد أشرقت الشمس .

همهمت (هبة) بعبارة غير مفهومة ، وأزاحت يده عن أنفها ، وهى تقول :

- أرجوك يا أبى .. اتركنى أنام بعض الوقت .. أنا متعبة .

ابتسم وهو يداعبها مرة ثانية ، قائلاً :

- هيا .. لقد حان موعد الإفطار ، ثم إنك تنامين منذ مساء أمس ، ومن الخطأ أن ينام الأطفال لفترة أطول من المعتاد .

قالت محتجة :

- ولكننى لم أنم إلا مع شروق الشمس .

هتف فى دهشة :

- شروق الشمس؟! .. ولماذا ظللت مستيقظة كل هذا الوقت ؟

غمغمت فى تراخ :

- كنت ألعب مع أصدقائى .

التقى حاجباه ، وهو يردد :

- أى أصدقاء ؟

فتحت عينيها في صعوبة ، ورفعت رأسها عن الوسادة قليلاً ، وهي تشير بيديها ، قائلة :

- هل تعرف الأقزام السبعة ، الذين رأيناهم في السينما ، في فيلم الرسوم المتحركة (سنوهوايت) ؟ (*) .. لقد جاءوا لزيارتي مساء أمس .

ارتجف قلبه في صدره ، وهو يسألها :

- أهو حلم آخر ؟

هزت رأسها نفياً ، وهي تقول :

- كلاً .. لم يكن حلمًا .. لقد جاءوا بعد نومك مباشرة .. أنا رأيتهم في المخزن ، عندما اشتعلت أضواؤه .

رفع حاجبيه في دهشة ، والتفت بحركة حادة إلى النافذة ، ليحدق في المخزن ، ثم التفت إليها ، وحاول أن يسيطر على أعصابه ، وهو يمسك كتفها ، ويسألها :

- اصدقيني القول يا (هبة) .. ما الذي حدث بالفعل ؟

دعت عينيها ، وجلست على الفراش في إرهاق ، وهي تجيب :

- لقد رأيت الأضواء تتبعث من المخزن ، وظننت أن (ميكى) هناك ، فذهبت إليه ، ولكنه لم يكن هو الذي أشعل الأضواء ، وإنما هؤلاء الأقزام السبعة .

(*) سنوهوايت والأقزام السبعة : واحد من أشهر أفلام (وولت ديزنى) ، تم عرضه للمرة الأولى عام ١٩٣٧ م ، وهو يحكى عن أميرة صغيرة ، حاولت زوجة أبيها التخلص منها ، ولكنها تنجو ، وتحيا مع سبعة أقزام طبيين ، يساعدونها على أن تستعيد ملكها ، بعد ظهور أمير جميل في حياتها كالمعتاد .

سألها في توتر :

- هل تستطيعين أن تصفيهم ؟

أومات برأسها إيجاباً ، وقالت :

- نعم .. إنهم مثلى ، وليسو مثلك .

سألها :

- ماذا تعنين ؟

أشارت بيدها ، مجيبة :

- أعنى أن لهم نفس طولى ، ولكنهم أكثر نحولاً منى .. يبدو أنهم لا يشربون اللبن فى الصباح .

قال فى توتر :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. هيا .. أكملى .. هل يرتدون نفس ثياب

الأقزام السبعة فى الفيلم .

هزت رأسها نفياً ، وهي تقول :

- كلاً .. إنهم يرتدون ثياباً فضية اللون ، ويضعون أشياء مستديرة

داكنة على رؤوسهم ، لم تسمح لى برؤية وجوههم ، ويحملون على

ظهورهم حقائب ثقيلة ، تخرج منها أنابيب قصيرة ، تنتهى عند طرف

هذه الأشياء ، التى يضعونها على رؤوسهم .

اتسعت عيناه فى هلع ، وهو يستمع إليها ، فقد كانت تصف فى

بساطة ، وبكل براءة الطفولة ، رواد فضاء صغار الحجم ، احتلوا

مخزنه طوال الليل ..

وفى هلع ، سألها :

- وهل لعبت معهم ؟

هتفت فى سعادة :

- بالطبع .. إنهم ظرفاء للغاية .. لقد داعبونى ، وتحدثوا معى ، وأهدونى لعبة جميلة ، لم أر مثلها قط ، و ...

أشار إليها لتصمت ، بعد أن عجز عقله عن استيعاب كل هذا ، وهتف بها وقد تضاعف توتره :

- هل تحدثوا معك ؟

أجابته :

- نعم ، وقالوا إنهم يحبوننى ، ويتمنون لو أرحل معهم إلى وطنهم .

سألها مذعورًا :

- وهل يتحدثون العربية ؟!

تطلعت إليه فى حيرة ، وهى تسأل :

- وما العربية ؟

قال فى توتر شديد :

- أعنى هل يتحدثون كما نتحدث نحن ؟

عقدت حاجبيها الصغيرين ، وهى تقول :

- لست أذكر .. إننى لم أرهم يتحدثون ، فلم يخلعوا تلك الكرات

المستديرة عن رؤوسهم قط ، وأعتقد أنهم ...

بترت عبارتها بغتة ، واملأت ملامحها الصغيرة بالحيرة ، فسألها

والدها ، وهو يستحثها على المواصلة :

- تعتقدون أنهم ماذا ؟

أجابته فى حيرة :

- أعتقد أننى لم أسمع أصواتهم قط ، ولكننى واثقة من أنهم قد تحدثوا إلى .

ثم تهللت أساريرها ، وهى تستطرد :

- أتعلم يا أبى .. لقد وعدونى بأنهم سيعيدون (ميكى) .. لقد أخذوه ليعالجوه ، بسبب إصابة ساقه .. كما أنهم استعادوا الشخص

الآخر ، الذى تركوه فى البئر ، منذ آخر زيارة لهم .

سرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يسألها :

- فى البئر ؟!

أومات برأسها إيجابًا ، وقالت :

- نعم .. إنه لا يشبههم ، وإنما يشبه صندوق قمامة صغير من الصفيح ، له قدمان ويدان صغيرتان ، ورأس أشبه بالكرة ، تتوسطه

عينان مضيئتان خضراوان ، ويصدر صوتًا عجيبيًا ، عندما يسير . وضحكت قبل أن تستطرد :

- لقد ضحكت طويلًا عند رؤيته ، وضحكوا هم أيضًا لضحكاتى ،

وأخبرونى أن لديهم الكثير من الأشياء مثله فى وطنهم ، وعندما أذهب لزيارتهم ، سيهدوننى واحدًا منها ، و ...

قاطعها ، وهو يهب من فراشه :

- ارتدى ملابسك .. سنرحل من هنا على الفور .

وقفز يلتقط الحقائب ، ويلقى فيها الملابس والأشياء عشوائيًا ،

فهتفت به محتجة :

- ولكنهم سيأتون للعب معى الليلة .

صاح بها :

- لهذا بالذات ينبغى أن نرحل الآن .

صاحت :

- أبي .

ولكنه لم يناقشها هذه المرة ، كما اعتاد في كل خلاف بينهما ..
لقد تأكد الآن من أن هذا المكان يحمل تحت رماله الصفراء سرًا
غامضًا مخيفًا ، لم يعد يكتفى بإثارة رهبته فحسب ، وإنما يسعى
لاختطاف ابنته أيضًا ، وحملها إلى عالم آخر ..

وهو لن ينتظر حتى ينتزعوا منه ابنته ..
لن ينتظر هذا أبدًا ..

ولم ينته تمامًا من وضع كل الأشياء في الحقائب ، وإنما اكتفى
بما وضعه ، وجذبها من يدها ، واندفع نحو الباب ، وهي تهتف به :

- الهدية .. أريد أن آخذ الهدية معي .

تجاهل هتافها تمامًا ، وفتح الباب في عنف ، و ...
إلى أين؟! .. .

انتفض في عنف ، وتراجع للخلف مذعورًا ، عندما وقع بصره
على ذلك الشخص الفاره القوام ، المتين البنيان ، الذي وقف بالباب
في زي مموه ، من تلك الأشياء التي يرتديها رجال الجيش ، ويحمل
في يده مدفعًا آليًا ، وهتفت (هبة) :

- لقد أفرعتني يا عماء .

ابتسم الرجل ، الذي يحمل رتبة نقيب ، وهو يقول :

- معذرة أيتها الصغيرة ، أنا لم أقصد هذا .. كنت أهم بطرق

الباب ، عندما فتحه والدك بغتة ..

ثم أدار عينيه إلى (خالد) ، وسأله :

- ولكن لماذا كنت تسرع هكذا ؟



تتنحج (خالد) ، وقال مرتبكا :

- لدى موعد فى (مديرية التحرير) ، ولقد تأخرت و ...

قاطعته الضابط فى حسم :

- ألغ الموعد .. لن يمكنك الذهاب .

شحب وجه (خالد) ، وهو يسأله :

- لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

رمقه الضابط بنظرة طويلة ، قبل أن يقول فى هدوء حازم :

- إجراءات أمن .

سأله (خالد) فى حذر :

- بسبب ماذا ؟

هز الضابط كتفيه ، وقال :

- أنا نفسى أجهل السبب ، ولكن الأوامر لدينا تحتم منع دخول

أو خروج أى مخلوق من المنطقة ، طوال الثمان والأربعين ساعة

القادمة .

هوى قلب (خالد) بين ضلوعه ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل !

عاد الضابط يرمقه بنظرة طويلة ، ثم سأله :

- لماذا مستحيل ؟!

أجابه فى حدة :

- لقد نفذت المؤن ، ونحتاج إلى وقود لإدارة المولد الكهربى ، و ...

قاطعته الضابط فى هدوء :

اكتب قائمة بكل ما تحتاج إليه ، وسنزودك به خلال ساعات ،

ودون مقابل .

بدا اليأس على وجه (خالد) ، وحاول أن يبحث عن مخرج آخر ،

ولكن الضابط سأله بغتة :

- قل لى : هل رأيت شيئا غريبا فى المنطقة ، فى اليومين

الماضيين ؟

انتفض جسده فى عنف ، وهو يهتف :

- مطلقا .. لم أر أى شىء عجيب .. لماذا تسأل ؟

ولكن (هبة) أسرعته تقول فى حماس :

- أنا رأيت الأقزام السبعة

جفت الدماء فى عروق (خالد) ، وشحب وجهه بشدة ، وتطلع

إلى الضابط فى ارتياح ، ولكن هذا الأخير سأل الصغيرة فى اهتمام :

- أى أقزام سبعة ؟

لوّحت بيدها الصغيرة ، وهى تقول :

- الأقزام السبعة ، الذين نامت (سنوهوايت) فى منزلهم .. ألم

تر الفيلم ؟

ابتسم الضابط ، وأجاب :

- بالطبع .. لقد شاهده عندما كنت فى مثل عمرك .

قالت فى سعادة :

- لقد زارونى أمس فى المخزن ، ولعبنا معا .

قال الضابط مبتسما :

- حقا ؟!

أسرع (خالد) يقول ، وهو يطلق ضحكة مرتبكة :

- خيال الأطفال واسع للغاية .

أوما الضابط برأسه ، وهو يقول :

- هذا أمر طبيعي .. لقد كنا مثلهم فى طفولتنا .

احتجت (هبة) ، قائلة :

- إنه ليس خيالاً .. لقد لعبت مع الأقزام أمس فى المخزن ،

ووعدونى بإعادة (ميكى) ، بعد علاجه من الكسر .

عقد الضابط حاجبيه ، وهو يتطلع إلى (خالد) ، متسائلاً :

- (ميكى) !؟

أجاب (خالد) ، وتوتره يتضاعف مع مضى الوقت :

- إنه كلبها .. لقد فقدناه هنا ، ومنذ ذلك الحين تشعر بوحدة

شديدة ، فالمكان مقفر كما ترى ، وأعتقد أن هذا هو السبب ، فى

كل ما يراودها من أحلام ، حول الأصدقاء الوهميين والأقزام .

صاحت (هبة) فى غضب :

- لم يكن حلمًا .. لم يكن حلمًا .. لقد أعطونى هدية أيضًا .

ابتسم (خالد) فى اضطراب ، وربت على رأسها ، قائلاً :

- بالطبع .. بالطبع .

وغمز بعينه للضابط ، الذى ابتسم مؤيدًا ، ثم تلاشت ابتسامته ،

وهو يقول :

- فليكن .. لو أنك رأيت أو شعرت بأى شىء غير طبيعى ، حاول

أن تبلغنا على الفور .

لوح (خالد) بكفيه ، وقال :

- كيف !؟ .. لا يوجد هاتف هنا ، أو ...

قاطعه الضابط ، وهو يناوله جهاز لاسلكى صغيرًا :

- استخدم هذا .. إنه مضبوط على موجة الاتصال بنا .. كل

ما عليك هو أن تضغط الزر ، وتذكر رقم قطعة الأرض التى تمتلكها ،

ثم تخبرنا ما لديك .. هل يمكنك فعل هذا ؟

أوما (خالد) برأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .

وراحت شفتاه ترتجفان فى توتر بالغ ، وهو يتابع انصراف

الضابط وجنوده ، فى واحدة من سيارات الجيش ، ثم أغلق الباب

فى سرعة ، واستند بظهره إليه لاهئًا ، وهو يتمتم :

- ماذا أفعل ؟ .. ماذا أفعل ؟

انتبه بغتة إلى أن (هبة) ليست إلى جواره ، فهتف فى هلع :

- (هبة) .. أين أنت !؟

أتاه صوتها من داخل حجرة النوم ، وهى تقول فى غضب :

- أنا هنا ، ولن أتحدث إليك .

اتجه إليها فى حجرة النوم ، ورآها جالسة على طرف الفراش ،

وقد زوت ما بين حاجبيها الصغيرين ، ومطت شفتيها ، وعقدت

ذراعيها ، معلنة غضبها ، فجلس إلى جوارها ، وأحاطها بذراعه

كلها ، وهو يقول فى حنان :

- أنت غاضبة منى ؟

هتفت :

- نعم .. سأخاصمك طوال عمري كله ؛ لأنك كذبت على العم

الضابط .. ما رأيته لم يكن حلمًا أو خيالًا ، وأنت تعرف هذا .

ربت عليها حانئًا ، وهو يقول :

- حبيبتي الصغيرة .. أنت الآن فى الخامسة من عمرك فحسب ،
وفى هذه السن يصعب على الطفل التفرقة ما بين الأحداث الحقيقية ،
والأحلام التى يراها فى نومه ، و ...
قاطعته غاضبة :

- ليس حلماً .. ليس حلماً .

ثم قفزت من الفراش ، ووضعت قبضتيها الصغيرتين فى وسطها ،
وهى تستطرد :

- ثم إن الأحلام لن تمنحنى هدية .. أليس كذلك ؟
تذكر أمر الهدية ، فى تلك اللحظة فقط ، فتطلع إلى ابنته فى مزيج
من القلق والحذر ، وهو يتمتم :

- الهدية؟! ..!

هتفت به :

- نعم .. لقد أهدونى هذه .

وأسرعت إلى دولاى ملابسها ، والتقطت منه علبة متوسطة
الحجم ، وفتحتها قائلة :

- انظر كم هى جميلة .

ولم يكذبصر (خالد) يقع على ذلك الشيء ، الذى برز من العلبة ،
حتى اتسعت عيناه فى دهشة ..

بل فى ذهول ..

ذهول تام ..

★ ★ ★

هذا الرجل يكذب ، أو يخفى شيئاً ما .. ،
ألقي الضابط هذه العبارة فى حزم واثق ، فى مواجهة رئيسه ،
الذى عقد حاجبيه فى اهتمام ، وهو يقول :

- ولماذا كوّنت هذه الفكرة ؟

أجابه الضابط :

- كان يهرع إلى الخارج حاملاً حقيبتين كبيرتين ، لم يحكم
إغلاقهما جيداً ، مما يوحى بأنه يتحرك على عجل ، وفى توتر شديد ،
وعلى الرغم من هذا فقد ادعى أنه على موعد فى (مديرية التحرير) ،
ثم لم يهتم حتى بإلغاء الموعد ، عندما أخبرته بأمر حصار المنطقة ،
بل ولم يطلب تلك المؤن والوقود ، اللذين أشار إلى نفادهما ، مما
يوحى بأنه كان كاذباً فى هذا الشيء .

أوماً رئيسه برأسه متفهماً ، وهو يقول :

- إنه أمر يبعث على الشك بحق .

قال الضابط :

- ليس هذا فقط يا سيدى ، ولكن اضطرابه الشديد أيضاً ، عندما
سألته عما إذا كان قد رأى أمراً غريباً ، ثم حديث ابنته عن الأقرام
السبعة .

هز رئيسه رأسه ، وهو يقول :

- هذا الحديث طبيعى للغاية ، بالنسبة لطفلة فى مثل عمرها ..
لقد شاهدت هذا الفيلم منذ عدة سنوات مع ابنتى ، وظلت تتحدث عن
الأقرام لعام كامل .

قال الضابط ، وهو يشير بسبابته :

- ولكن والدها توتر في شدة ، عندما بدأت تتحدث عن هؤلاء الأقرام ، وحاول منعها من الاستمرار بأى شكل .

صمت رئيسه لحظات ، وهو يزن الموقف في رأسه ، ثم قال :
- إذن فأنت تعتقد أن هذا الشخص قد رأى شيئاً ، يتعلق بالجسم الغريب ، الذى نبحث عنه .

هتف الضابط :

- بل وربما أجرى اتصالاً ما معه يا سيدي .

صمت رئيسه لحظات أخرى ، ثم قال :

- هذا الأمر يحتاج إلى تحريات أكبر .. سنراقب هذا الرجل ومنزله سرّاً ، حتى تلتقط ما يؤيد قولك ، قبل أن نلقى القبض عليه .
سأله الضابط :

- ولماذا لا نذهب لاستجوابه ، على نحو مباشر ؟

لوح رئيسه بكفه ، وهو يقول :

- لنفس السبب الذى رفضوا من أجله إخلاء المنطقة ، وفضلوا محاصرتها .. إننا مازلنا نجهل طبيعة الخصم الذى نواجهه يا رجل ، وربما كان بشرى الهيئة ، أو كانت لديه قدرة على انتحال هينات أخرى .. صحيح أن هذا الكلام يبدو أقرب إلى الخيال ، ولكنه يتناسب مع الموقف كله ، بغرابته وغموضه .. إنهم يخططون لكل شيء يا رجل ، وليس علينا سوى الالتزام بالأوامر ، والـ ...

قاطعته بغتة أزيز جهاز اتصال الطوارئ الخاص ، فالتقطه في سرعة ولهفة ، وهو يقول :

- هنا القيادة .. من يتحدث ؟

أتاه صوت أحد ضباطه ، يجيب :

- من الفرقة التاسعة إلى القيادة .. لقد عثرنا على شيء سيثير دهشتكم للغاية .

هتف به الرئيس :

- هل وجدتم تلك القبة ؟!

أجابه الرجل والانتفعال يغمر صوته :

- بل عثرنا على ما هو أغرب يا سيدي .

وصمت لحظة قبل أن يجيب :

- عثرنا على طائرات الهليكوبتر الثلاث المفقودة ، وفي موضع لا يمكن أن تخطئه عين .

واتسعت عينا الرئيس في دهشة بالغة .

★ ★ ★

اتسعت عينا (خالد) عن آخرهما ، في زهول تام ، وهو يحدق في اللعبة التي تحملها ابنته ، والتي برزت منها كرة حمراء ، ينبعث منها ضوء باهت ..

ولم يكن شكل الكرة ، أو لونها ، أو حتى الضوء المنبعث منها ، السبب المباشر لدهشته وذهوله .. وإنما كان موضعها ..

لقد فتحت (هبة) اللعبة ، فوثبت منها الكرة ، وتعلقت في الهواء ، وكأنما لا تربطها أية علاقة بالجاذبية الأرضية (*) .. وهتفت (هبة) في سعادة ، وهي تمد يدها نحو الكرة :

- هل رأيت جمالها يا أبى ؟

صاح (خالد) :

- لا .. لا تلمسيها :

ولكنها دفعتها بيدها في رفق ، وهي تقول :

- لماذا ؟ .. إنها طريفة للغاية .

ومع دفعتها الرقيقة ، سبحت الكرة في الهواء في بطء ، وتحركت في نعومة أنيقة ، وكأنها داخل مركبة فضائية ، تجاوزت حدود الجاذبية ، وغرقت في منطقة انعدام الوزن (**)

(*) الجاذبية الأرضية : هي قوة جذب (الأرض) للأجسام ، وهي التي تجعل لكل جسم وزنا ، وقوة جذب الأرض للجرام تساوى ٩٨٠ دايئا تقريبا ، وهي تختلف من مكان إلى آخر ، على سطح الأرض ..

(**) انعدام الوزن : حالة خاصة بالأجسام ، التي تدور حول كوكب ما ، -

وتابع (خالد) حركة الكرة في زهول ، في حين جرت خلفها (هبة) ، وهي تقول ضاحكة في سعادة :

- إنها تطير يا أبى .. كرتى تطير .

ودفعنها بأصابعها مرة أخرى ، نحو الجدار ، ولكنها لم تكذب تبليغه ، ودون أن ترتطم به ، حتى دارت حول نفسها ، وسبحت في الاتجاه الآخر ، و (خالد) يتابع مسارها المتقن ، وقد هوى قلبه تماما بين قدميه ..

الآن لم تعد هناك ذرة واحدة من الشك ..

هناك قوة مجهولة تعبت بهذا المكان ..

قوة تستهدفه ، أو تستهدف ابنته ..

وفي عصبية متوترة ، هتف :

- هيا .. سنغادر هذا المكان .. هيا .

تطلعت إليه في دهشة ، وقالت :

- ولكن العم الضابط قال : إنه لا يمكننا أن نرحل .

هتف في عصبية :

- فليطلقوا علينا النار إذن .

قالت متوترة :

- وماذا عن (ميكى) ؟ .. هل نرحل ونتركه وحده ؟

- حيث يتم التعادل التام ، بين قوة الجذب ، والقوة الطاردة المركزية ، التي بولدها الدوران ، وهذا لا يعنى أن الجاذبية في هذه المنطقة تساوى صفرا ، وإنما يعنى ضياع معالمها ، مع تعادلها مع القوة المضادة ، فتبعا لقانون الجاذبية ، لا تصل قوة الجذب إلى الصفر ، إلا في نقطة الما لانهاية .

أجابها وهو يحمل الحقيبتين :

- (ميكي) ذهب ولن يعود .

صرخت (هبة) :

- لا .. لا تقل هذا يا أبى .. (ميكي) سيعود .. لقد وعدوني .

صاح فى عصبية :

- قلت لك : لن يعود .. لن يعود .. هم الذين سيعودون إلى هنا ..

ألا تدركين ما الذى يسعون إليه ؟ إنهم يبحثون عن عينات من

كوكبنا .. عينات من المياه ، والتربة ، والرمال ، والحيوانات .. بل

والبشر أيضا .. إنهم يريدون اختطافك .. ألم تفهمى هذا ؟

ترقرقت الدموع فى عينيها ، وهى تقول فى أسى ، لا يتناسب قط

مع طفولتها وبراعة نفسها :

- إنهم لا يريدون اختطافى يا أبى .. بل يلعبون معى فحسب .

صاح بها :

- خطأ .. خطأ .. إنهم يخططون لسرقتك منى ، وحملك إلى

كوكبهم ، ولن أسمح بحدوث هذا قط .. هل تفهمين ؟ .. لن أسمح

به أبدا ..

انهمرت دموعها على وجنتيها ، وهى تقول :

- لا يا أبى .. أنت تخذعنى .. لو أنهم أرادوا سرقتى ، فلماذا لم

يفعلوا هذا أمس وأنت نائم ؟ .. لماذا اكتفوا باللعب معى ؟

صدمته تساؤلاتها البريئة ، التى ارتطمت بحاجز المنطق فى

عقله ، فأيقظت فيه رؤية جديدة ، لم ينتبه إليها من قبل ..

لو أنهم أرادوا اختطافها ، فلماذا لم يقدموا على هذا بالفعل ؟

إنه لن يستطيع حتى منعهم لو حاولوا ..

لقد رأى بنفسه ما يثبت أنهم أكثر قوة وتقدما ، وأنه لا قبل له

بالتصدى لهم قط ..

وسقطت الحقيبتان من قبضته ، بعد أن انكشفت لبصيرته

الحقيقة ، وعاد ذلك الشعور الرهيب بالعجز والوحدة والحيرة يحيط

به ، وانتقل إلى لسانه ، الذى ردد فى خفوت :

- ماذا يريدون منا إذن ؟ .. ماذا يريدون ؟

وبقى سؤاله أشبه بتلك الكرة المضينة ، معلقا فى سماء الحجر ..

وبلا جواب ..

★ ★ ★

تحول ذلك الجزء من الصحراء الغربية فجأة ، إلى ترسانة كاملة

من الأسلحة ، حتى بدا أشبه بساحة قتال ، تستعد فيها فرقة من

الجيش ، لشن هجوم شامل على العدو ، فقد استقرت طائرات

الهليكوبتر الحربية الثلاث على الرمال ، وحولها فرقة من المشاة ،

تتخللها عدة سيارات مصفحة ومجنزرة ، وأربع دبابات حديثة ،

بمدافعها المتحفزة ، وحلقت فوقها سبع طائرات هليكوبتر أخرى ،

هبطت من بينها واحدة ، تضم قائد القوات الجوية ، وقائد الدفاع

الجوى ، وثلاثة من كبار الضباط ، ولقد غادروها جميعا فور هبوطها ،

وقبل حتى أن تتلاشى أو تهدأ عاصفة الرمال ، التى أثارها مراوحها ،

وسأل قائد القوات الجوية رئيس فرقة البحث فى اهتمام :

- كيف حال الطائرات الثلاث ؟

أجاب الرجل ، وهو يؤدى التحية العسكرية :

- فى حالة ممتازة للغاية يا سيدى .. بل ويمكننى أن أقول بكل ثقة ،

إنها فى حالة أفضل مما كانت عليه ، عندما أقلعت من قاعدتها .

سأله القائد في دهشة :

- وكيف هذا ؟

أجابه الرجل :

- لقد تم غسلها وتنظيفها وتشحيمها ، وزوّدت بالوقود ملء
خزائنها ، ولّمع بعضهم واجهات العدادات ، ونفض الرمال عن
المقاعد .. باختصار .. إنها تبدو كالجديدة .

سأله القائد في شك :

- وهل تأكدتم من أنها الطائرات نفسها ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم ياسيدى .. لقد راجعنا أرقام المحركات ، وأرقام الأجسام
الخارجية ، وكلها مطابقة :

هزّ القائد رأسه في حيرة ، قبل أن يسأل في لهفة :

- والطيارون .. ماذا عنهم ؟

أجابه الرجل على الفور :

- كلهم في خير حال ، والأطباء يفحصونهم الآن في تلك الخيمة
هناك .

اتجه القادة مباشرة إلى الخيمة ، واستقبلهم فريق الأطباء
والطيارون الثلاثة ، وسأل قائد الدفاع الجوى في قلق :

- كيف حال الرجال ؟

أجابه كبير الأطباء :

- في خير حال ، إلى حد يثير الدهشة ، كما لو أن فريقاً من أمهر
الاطباء قد اعتنى بهم عناية بالغة ، حتى أن الرائد (صفوت) كان

يعانى ارتفاعاً طفيفاً في ضغط الدم ، وهو الآن في صحة جيدة للغاية ،
وضغط دمه مثالي ، والنقيب (ميشيل) كان يخضع للعلاج ، بشأن
التهاب مزمن في الأذن الخارجية ، ولكنه شفى منه تماماً ، ولكن
أكثر الحالات غرابة ، هي حالة النقيب (عبدالله) .

سأله القائد في اهتمام :

- وماذا عنه ؟

هزّ كبير الأطباء رأسه في حيرة ، وقال :

- لقد أصيب قبل إقلاعه أمس بجرح في ذراعه اليمنى ، فضمده
له زميل ، وأخبره بضرورة ذهابه إلى العيادة الطبية لخيطة الجرح ،
فور عودته من المهمة .

تبادل القادة نظرة حائرة ، ثم سأل أحد الضباط الكبار :

- حسن ، وما العجيب في هذا ؟

تنهّد كبير الأطباء ، وقال :

- هذا الجرح لم يعد له وجود .

هتف الجميع في آن واحد :

- ماذا ؟

أشار كبير الأطباء إلى ذراع النقيب (عبدالله) ، وهو يقول :

- لقد التأم الجرح تماماً ، ولم يعد ظاهراً منه سوى ندبة خفيفة ،
وهذا لا يحدث إلا بعد أسبوع من العلاج الجيد على الأقل .

عاد القادة يتبادلون نظرة حائرة ، ثم اتجه قائد الطيران إلى

الطيارين الثلاثة ، وقال :

- حمداً لله على سلامتكم يا رجال .. أخبرونا .. ما الذي حدث لكم

بالضبط ؟

هزوا رءوسهم فى حيرة تامة ، وأجاب الرائد (صفوت) :
 - المشكلة أننا لا نذكر هذا قط يا سيدى .. آخر ما تبقى فى ذاكرتنا
 هو أننا شاهدنا قبة كبيرة ، تختفى وسط الرمال ، فاتجهنا إليها ..
 وبعدها تلاشت ذاكرتنا تمامًا ، حتى وجدنا أنفسنا داخل طائرتنا ، وسط
 الصحراء ، وحولنا رجال المشاة .
 ' نقل القائد بصره إلى النقيب (ميشيل) والنقيب (عبدالله) ،
 وسألهم :

- أهذا ما تذكرانه أيضًا ؟

أجاباه بمزيج من الحيرة والقلق :

- نعم .. هذا كل ما نذكره .

صمت القائد لحظات ، وهم يحاولون استيعاب الموقف كله ، ثم

قال قائد القوات الجوية فى حزم :

- فليكن .. انقلوا الطيارين الثلاثة إلى مستشفى القوات الجوية

فى (العباسية) ، ليتم عمل الفحوص اللازمة لهم ، وسنرسل ثلاثة

طيارين آخرين لإعادة الطائرات ، ليتم فحصها فى القاعدة بوساطة

الخبراء ، وفى الوقت نفسه سنواصل عملية البحث فى المنطقة .

قال أحد الضباط الكبار ، وهو يفرد خريطة للمنطقة :

- لو أردت رأيى يا سيدى القائد ، فالسر كله يكمن فى هذه المنطقة

بالذات .

قالها وهو يشير إلى دائرة صغيرة ، تحيط بموقع إحدى مزارع

استصلاح الأراضى الجديدة ..

وكانت هذه المزرعة تخص (خالد) ..

(خالد) بالذات ..

★ ★ ★

جلس (خالد) مبهورًا مأخوذًا ، يتابع ابنته ، التى راحت تلهو
 بالكرة العجيبة فى مرح وسعادة ، وهو يتساءل : ما الذى ينبغى عليه
 أن يفعله ؟ ..

لقد كانت هذه المزرعة هى أمله الوحيد فى الحياة ، ومن أجلها



بذل أقصى طاقته ، وقاتل بكل إصراره وعناده ، وأنفق كل ما ادخره

فى حياته ، وها هو ذا الآن يتمنى لو تركها وهرب ..

ولكن ، هل يجدى الفرار ؟

هل يمكنه أن يحل المشكلة؟! ..

إنه يخشى هؤلاء الغرباء ، الذين لم يقع بصره عليهم قط ..
الغرباء الذين تركوا شخصاً آلياً في البئر ، واختطفوا (ميكى) ،
وشاهدتهم ابنته ..

ومن العجيب أنهم لم يحاولوا الإساءة إليها ، بل اكتفوا باللهو
معها ، ومنحوها هذه الهدية العجيبة ، بدلاً من اختطافها مثلما فعلوا
مع (ميكى) ..

وفجأة ، قفز إلى ذهنه خاطر مخيف ، جعل جسده يرتجف في
قوة ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ..

ماذا لو أنهم قد فعلوا شيئاً ما بابنته ، دون أن تدري؟! ..
ربما زرعوها في جسدها شيئاً ما ، أو عرضوها لتجربة عجيبة ،
أو ...

انتفض جسده مرة أخرى ، وهو يحدق في الكرة الطائرة ، وهتف
في أعماقه :

- أو أن هذه الهدية العجيبة تفعل هذا .

ولم يكد هذا الخاطر يستقر في ذهنه ، حتى هتف بغتة :

- كفى !

قفزت (هبة) من مكانها مذعورة ، وسألته في خوف :

- ماذا حدث يا أبى ؟

أشار إلى الكرة ، وهو يقول في حدة :

- كفى عبثاً بهذا الشيء .. إننا نجهل حتى ما هو .

قالت في حيرة :

- إنها كرة .

صاح في عصبية :

- إنها ليست مجرد كرة .. هيأ .. أطيعي الأمر ، وأعيدى تلك الكرة
العجيبة إلى علبتها .

مطت شفيتها في اعتراض ، وقالت :

- سوف أخاصمك طويلاً .

ثم اتجهت إلى العلبة ، وفتحتها ، فنهض هو ليلتقط الكرة ،
ويعيدها إلى العلبة ، ولكنه فوجئ بابنته تقول في بساطة :

- عودى إلى العلبة .

وتسمر في مكانه مذعوراً ، عندما سبحت الكرة نحو العلبة
مباشرة ، وكأنها تطيع الأمر ، واستقرت داخلها في هدوء ، فأغلقها
(هبة) ، وهي تقول :

- عندما تشتري لعبة لنفسك ، سأمنعك أنا أيضاً من اللهو بها .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفعت طرقات قوية على باب المنزل ،
فوثب (خالد) من مكانه في هلع ، وهو يهتف :

- من بالباب ؟

أتاه صوت الضابط ، الذى التقى به فى الصباح ، وهو يقول :

- إنه أنا .

راح قلب (خالد) يخفق فى عنف ، وهو يفتح الباب ، واستقبله
وجه الضابط الباسم ، وهو يسأله :

- كيف حالك؟! .. لقد نسيت أن تعطيني قائمة الطلبات .

قال (خالد) فى ارتباك :

- أية قائمة ؟

اتسعت ابتسامة الضابط ، وضافت عيناه في خبث ، وهو يقول :
- عجباً؟! .. كيف تنسى المؤمن والوقود ؟
هتف (خالد) :

- آه .. إننى لم أنسها ، ولكننى لم أدر كيف أبلغكم بما أريد .
أشار الضابط بيده إلى الداخل ، وهو يقول :
- لديك جهاز اللاسلكى .

ارتبك (خالد) مرة أخرى ، وهو يقول :
- الواقع أننى لم أعتد وجوده هنا .

أوما الضابط برأسه ، وكأنه يتفق معه ، ثم سأله بغتة :
- أين ابنتك الصغيرة ؟

سرت قشعريرة في جسد (خالد) ، وهو يقول في اضطراب :
- ما الذى تريده منها ؟

لم ترق له ابتسامة الضابط ، وهو يقول :

- وما المشكلة فى أن ألتقى بها ؟ .. إنها طفلة ذكية ، وكنت أربح
فى أن ألقى عليها التحية فحسب .

فكر (خالد) فى أن يدعى أن ابنته نائمة ، ولكنه فوجئ بها إلى
جواره ، تبسم فى براءة ، وتقول للضابط :

- كيف حالك يا عماء ؟

ابتسم لها الضابط ، وهو يقول :

- كيف حالك يا صغيرتى ، وكيف حال أقزامك السبعة ؟

أسرع (خالد) يقول :

- إنه مجرد خيال جامع ، و ...

قاطعته الصغيرة فى حدة :

- أبى .. قلت لك : إنه ليس خيالاً .

أمسك الضابط كفها الصغيرة ، وتجاوز والدها ، وهو يقودها إلى
الداخل ، قائلاً :

- بالطبع يا صغيرتى .. أنا أعلم أنه ليس خيالاً ، وأنا هنا لأتحدث
معك بشأنه .. أخبرينى .. كيف التقيت بهم ؟ .. ماذا كانوا يرتدون ؟
وبأية لغة يتحدثون ؟

هتف (خالد) فى حدة :

- اترك الصغيرة وشأنها .. إنها لا تفهم ما تتحدث عنه .. كل
ما فى الأمر أنها فقدت كلبها (ميكى) بعد إصابته ، وشعورها بالوحدة
آلمها كثيراً ، فراحت تصنع لنفسها عالماً آخر ، من الأقزام
والأطفال ، الذين تراهم فى أفلام الرسوم المتحركة (*) .

قالت (هبة) فى حماس :

- ولكن (ميكى) سيعود .. لقد وعدونى بإرجاعه ، بعد علاج
ساقه المصابة .

قال (خالد) فى عصبية :

- هل ستبنى فكرتك على أقوال طفلة فى الخامسة من عمرها ؟

التفت إليه الضابط ، وسأله فى خبث :

- فكرتى عن ماذا ؟

(*) الرسوم المتحركة : نوع من الأفلام السينمائية ، تجمع فيها عدة رسوم ،
وثرثب ، ويتم تصويرها لقطة لقطة ، بألة تصوير سينمائية ، ثم تضاف إليها
الأصوات المناسبة ، وأول من أخرج هذه الأفلام فى (فرنسا) (أميل كوهيل) ،
عام ١٩٠٥ م .

٦ - العودة ..

كانت الفدادين المائة ، التي تكوّن مزرعة (خات -) ، تمتد أمام عينيه لمسافة طويلة ، وتنتهي بحاجز من الأسلاك العادية ، ومن عند هذا الحاجز برز (ميكى) ، وهو يعدو بكل قوته ، متجهاً إلى المنزل ..

ولم يصدّق (خالد) عينيه ..

لقد كان الكلب يعدو فى قوة ونشاط ، وكأن ساقه لم تكسر قط ، فى حين اندفعت (هبة) نحوه ، صانحة فى فرحة عارمة :
- لقد صدقوا فى وعدهم .. لقد أعادوا إلى (ميكى) .

التفت بالكلب على مسافة عشرة أمتار من المنزل ، فراح يدور حولها فى سعادة ، وينبج فى فرح ، فالتفت الضابط إلى (خالد) ، وقال :

- لا يبدو لى أبداً ككلب مصاب .

غمغم (خالد) والدهشة تملأ وجهه ، وتطلّ فى وضوح مع نبرات صوته المضطربة :

- ولكنه كان كذلك بالفعل .

التفت إليه الضابط ، وسأله فى صرامة :

- أنت واثق من أنك لم تخف عنا شيئاً ؟

هتف (خالد) فى عصبية شديدة :

- اسمع أيها الضابط .. أنا مواطن مدنى ، وليس من حقك أن

تستجوبنى .. لاشأن للجيش بى على الإطلاق .

لوح (خالد) بذراعه كلها فى توتر ، وهو يقول :

- الفكرة التي تلقى من أجلها كل هذه الأسئلة .

انتقل الخبث إلى ابتسامه الضابط ، وهو يقول :

- إنه مجرد حديث ودى مع الصغيرة ، لماذا تصوّرتة أى شيء

آخر خلاف هذا ؟

ارتج على (خالد) ، فحدّق فى وجه الضابط فى صمت ، فى حين

عاد هذا الأخير يلتفت إلى (هبة) ، ويسألها :

- هل قالوا إنهم سيعالجون (ميكى) ؟

أجابته فى بساطة :

- نعم .. وسيعيدونه إلى .

هتف (خالد) فى عصبية :

- كلام أطفال .. مجرد كلام أطفال .. لقد سقط الكلب ، وانكسرت

ساقه ، ثم ابتلعتة حفرة ما فى الصحراء ، ولقى مصرعه فيها ..

هذا أمر واضح .. إنه ...

قبل أن يتم عبارته ، صك مسامعهم صوت نباح قوى ، يأتى من

بعيد ، فهتفت (هبة) فى سعادة :

- (ميكى) .. لقد عاد .

وأسرعت إلى الباب ، فتبعها الضابط فى لهفة ، وخرج خلفهما

(خالد) ، وارتفع حاجباه عاليًا ، حتى كادا يمتزجان بأطراف شعر

رأسه ، وهو يحدّق فى ذلك المشهد ، الذى بدا له عجيبيًا ..

عجيبيًا للغاية .

أطلت الصرامة من عيني الضابط ، وهو يقول :
- ادخر كلامك هذا لموقف يستحقه .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطرذا بلهجة أمرية :
- خذوا الكلب .

صاحت (هبة) :

- لا .. لا تأخذوا (ميكى) .

ولكن الجنود انقضوا على الكلب ، وألقوا فوقه شبكة سميكة ،
تستخدم لتمويه السيارة في أثناء المناورات ، فزجر (ميكى) ، ونبح ،



وراح يضرب الشبكة بمخالبه ، ويعضها بأنبيابه ، و (هبة) تصرخ :

- اتركوا (ميكى) .. لا تفعلوا به هذا .

وقال (خالد) للضابط في غضب :

- ليس هذا من حقكم أيضا .

ابتسم الضابط في سخرية ، وهو يقول :
- حقا ؟!

كان رجاله قد حملوا الكلب إلى السيارة ، فقفز هو إلى المقعد
المجاور للسائق ، و (هبة) تصرخ فيه :

- أنا لا أحبك .. أنا أكرهك .. اترك (ميكى) وإلا ضربتك .

وتطلع هو إليها في هدوء ، ثم رفع عينيه إلى (خالد) ، وقال
في صرامة :
- سأعود إليها .

وبإشارة من يده ، انطلقت السيارة مبتعدة ، ونباح (ميكى)
يتواصل داخلها ، فألقت (هبة) نفسها بين ذراعى أبيها ، وهي تبكى
هاتفة :

- لماذا أخذوه يا أبى؟! .. لماذا أخذوا (ميكى) ؟

ربت والدها عليها مشفقا ، وضمها إليه في حنان ، وهو يتابع
ببصره السيارة ، وهي تبتعد وتبتعد ، حتى اختفت في قلب الصحراء ..
وامتلأت نفسه بالخوف ..

لم يكن حملهم للكلب هو سبب مخاوفه ، وإنما كانت تلك الجملة
الأخيرة ، التي نطق بها الضابط قبيل انصرافه ..
سيعود من أجل ابنته ..

سيعود في المرة القادمة ليأخذها ، كما أخذ (ميكى) ..

وجمع به الخيال ، فتصور الجنود ينقضون على ابنته الصغيرة ،
ويلقون شبكتهم فوقها ، ثم يسحبونها أرضا ، ويضعونها فوق
سيارتهم ، كما فعلوا مع الكلب ..

رأها بعين الخيال ، ترقد فوق منضدة تشريح ، والعلماء يفرسون مشارطهم في جسدها الصغير ، ليبحثوا عما تركه الغرباء داخلها ..
سيحولونها إلى فأر تجارب ..
مجرد عينة للفحص ..

وجعلته هذه التصورات يضح ابنته إلى صدره في قوة ، ويهمس بصوت مبسوح ، خرج على الرغم منه أشبه بالفحيح :
- ينبغي أن نرحل من هنا .. من الضروري أن أبتعد عن هذا المكان ..

كان قد اتخذ قراره ، ولن يتراجع عنه أبداً ..
أبداً ..

★ ★ ★

هذا أغرب شيء رأيته ، في حياتي كلها !! ،
نطق كبير الأطباء بهذه العبارة ، بعد أن انتهى من فحص (ميكى) ، بمعاونة أحد كبار الأطباء البيطريين ، وامتلاً بصوته بالدهشة والحيرة ، وهو يستطرد ، أمام قائد القوات الجوية :
- الفحوص وصور الأشعة أثبتت أن الكلب كان مصاباً بكسر في ساقه بالفعل ، ولكن هذا الكسر تمت معالجته بوسيلة لا مثيل لها في المراجع الحديثة .. لقد أدخلوا في ساقه إبرة دقيقة ، ووضعوا العظام في موضعها الصحيح يدويًا ، ثم حقنوا مادة عجيبة ، ألصقت الطرفين المكسورين ببعضهما ، وأعادتهما إلى ما كانا عليه ، بحيث استطاع الكلب أن يتحرك ، واستعاد نشاطه كله .
قال القائد في توتر :

- من الواضح أنهم يفوقوننا كثيرًا من تقدمهم العلمي ، وهذا يثير في نفسي المزيد من الخوف .
سأله كبير الأطباء :

- لماذا ، ماداموا لم يتسببوا في إيذاء أى مخلوق ؟
أجابته القائد في سرعة :

- حتى هذه اللحظة ، ولكن من يدري ما الذى يخططون له فيما بعد .. ربما كان هذا مجرد خدعة ؛ لاكتساب ثقتنا ، أو امتصاص شكوكنا ، وبعدها ينقضون علينا بلا رحمة ، ونحن نجهل كل شيء عنهم .

اعتدل الضابط في رقبته العسكرية ، وهو يقول :

- أعتقد أن الصغيرة يمكنها أن تمدنا ببعض المعلومات .

سأله قائد القوات الجوية :

- أية صغيرة ؟

أجابته الضابط :

- صاحبة هذا الكلب .. إنها طفلة فى الخامسة من عمرها ، وتقول إنها قابلت الغرباء ، وتحدثت إليهم ، و ...

هب القائد من خلف مكتبه ، وهو يهتف :

- ولماذا لم تحضرها إلينا ؟

ارتبك الضابط ، وهو يقول :

- إنها طفلة صغيرة ، ولقد فكرت فى أنه من الأفضل أن نتأكد أولاً من صحة قصتها ، بعد فحص الكلب ، و ...

قاطعه القائد فى غضب :

- ماذا تقول يا رجل ؟ .. هذه الطفلة هي سبيلنا الوحيد ، لجمع شيء من المعلومات ، عن خطر نواجهه ، ونحن نجهل كل شيء عنه .. هيا أيها الضابط .. اذهب وأحضر لنا هذه الطفلة على الفور .. هل تفهم ؟! .. أريد هذه الطفلة .

ودق سطح مكتبه بقبضته في عنقه ، وهو يستطرد :
- أريدها بأى ثمن ..

كانت الشمس قد بدأت رحلتها نحو الغروب ، عندما همست (هبة) لوالدها في خوف ، وهي تتسأل معه إلى سيارته (الجيب) ، التي أخفاها خلف المخزن :

- لماذا نفعل هذا يا أبى ؟

أجابها في توتر :

- لا بد لنا من الهروب من هنا ، قبل أن يعود ذلك الضابط لاصطحابك .

سألته :

- ولماذا يفعل هذا ؟

أجابها والمرارة تعتصر قلبه :

- إنهم يريدون أن يجروا تجاربهم عليك .. لن يعينهم أنك طفلة ، أو أنك ابنتى .. كل ما سيسعون إليه هو الحصول على الحقائق .. هذا كل ما يهمهم .

بلغا السيارة في تلك اللحظة ، فسألته وهو يضعها داخلها :

- ولكن ذلك الضابط يبدو ظريفاً .. أليس كذلك ؟

قال في حدة ، على الرغم من صوته الخافت :

- كلهم يبدوون كذلك ، حتى تبرز مخالبتهم .

تطلعت إليه في حيرة ، وغمغمت :

- لست أفهم شيئاً .

احتل مقعد القيادة ، وأدار المحرك ، وهو يقول :

- عندما تكبرين ، ستفهمين كل شيء .

انطلق بالسيارة في حذر ، مستتراً بالمخزن ، ومستغلاً ذلك الظل

الطويل ، الذى صنعه مع أشعة الشمس ، مع قرب الغروب ، وراح

قلبه يدق فى قوة ، وهو يتمنى ألا يشعروا بفراره ..

كان قد اتخذ قراره هذا فى حزم ، بعد أن أدرك أنهم سيعودون ،

إن عاجلاً أو آجلاً ، ليسلبوه ابنته الصغيرة ، أحب مخلوق إلى قلبه ،

بعد رحيل زوجته ..

وابنته (هبة) هى حياته كلها ، وأمله ، وروحه ، وأحلامه ..

كل ما يفعله فى حياته من أجلها ..

حتى هذه المزرعة ، كان ينوى استصلاحها من أجلها ، حتى تحمل

اسمها يوماً ، وتمنحها عائداً مجزياً ، يكفل لها حياة كريمة ..

وعندما يفر من المكان ، ويترك كل حقائبه وأشياءه خلفه ، فإنما

يفعل هذا أيضاً من أجلها ..

انتظر يا أبى ..

هتفت بها (هبة) فى زعر ، جعله يضغط الفرامل فى حركة

غريزية ، وهو يهتف بها :

- ماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

صاحت فى أسى :

- نسيت الهدية هناك .

تملكه الغيظ ، وهو يقول فى حدة :

- لن نأخذ هذه الهدية اللعينة معنا .

لوحث بذراعيها ، قائلة :

- ولكننى أحبها ، وأريدها معى .

أمسك كتفيها الضنيلتين ، وتطلع إلى وجهها مباشرة ، وهو يبذل

قصارى جهده للسيطرة على أعصابه الثائرة ، وقال :

- اسمعيني يا (هبة) .. اسمعيني جيذا .. لا يمكننا أبدا أن نأخذ

هذه الهدية معنا ؛ لأننا لانعلم ماهيتها .. من يدري ؟ .. أليس من

المحتمل أن تكون جهاز تعقب مثلا ، أو أنها تصدر نوعا من

الإشعاعات الضارة ؟

قالت باكية :

- لست أفهم شيئا ، ولكننى أريد لعبتى .

تنهد ، وقال :

- من الطبيعى ألا يمكنك فهم ما أقول يا صغيرتى ، ولكن كل

ما أطلبه منك هو الثقة .. امنحيني ثقتك يا (هبة) ، وتأكدى من أن

أباك لن يفعل قط إلا ما هو فى صالحك .. هل تتقين بأبيك يا (هبة) ؟

أومأت برأسها إيجابا ، والدموع تغرق وجهها ، فربت على خدّها

فى حنان ، وهو يكمل :

- يوما ما ستعلمين أننى فعلت هذا من أجلك ، وأننى ضحيت بكل

شيء ، عن طيب خاطر ؛ لأنك من الخطر .

سالت دموعها فى صمت ، فاعتدل ، وانطلق بالسيارة مرة أخرى

مبتعدا ، وهو لا يدري إذا ما كان يتجه نحو أمل جديد ، فى أن يحيا مع

ابنته فى سلام وأمان ، أم أنه ينطلق - دون أن يدري - نحو النهاية .

نهايتهما ..

★ ★ ★

أوقف الضابط سيارته أمام منزل (خالد) ، وقفز منها فى لهفة ،

وهو يهتف برجاله :

- حاصروا المنزل . ولا تسمحوا لأحد بالخروج دون إذن .

وطرق الباب فى رفق فى البداية ، ولكن طرقاته لم تلبث أن تحولت

إلى العنف والعصبية ، عندما لم يجد أية استجابة من الداخل ، حتى

هتف أخيرا :

- اكسروا هذا الباب .

ضرب اثنان منهما الباب بكتيفيهما ، حتى تهاوى ، ثم اندفع

الجميع إلى المنزل ، وقال الضابط فى توتر :

- فتشوا المكان كله .. ابحثوا عن أى أثر يمكن أن يرشدنا إليهما .

بدأت عملية تفتيش سريعة للمكان ، وعاد أحد الرجال من الخارج ،

قائلا :

- لقد اختفت السيارة ، وآثار إطاراتها تشير إلى أنها انطلقت نحو

الشرق .

هتف الضابط فى حنق ، وهو يلوح بذراعه :

- لقد هرب الرجل .. أنا المخطئ .. كان المفروض أن أصطحب

الفتاة معى على الفور .

ارتطمت يده في أثناء حركتها بصندوق صغير ، فسقط أرضا ،
وانفتح في عنف ..

وتراجع الجميع في دهشة وذعر ..

لقد وثبتت تلك الكرة الحمراء بغتة ، وتعلقت في الهواء ، وراحت
تسع ذلك الضوء الباهت ..

ولثوان ، لم ينطق شخص واحد بحرف ما ، ثم اخترق صوت
الضابط جدار الصمت بغتة ، وهو يهتف :

- كنت أعلم هذا .

ثم صرخ برجاله :

- أريد هذا الرجل .. سنطارده عبر الصحراء كلها ، لو استلزم
الأمر .

اندفع الجميع نحو سيارتيهما ، ودفع هو الكرة في حذر إلى داخل
الصندوق ، ثم حمله في حرص ، وانضم إليهم ، وهتف :

- هيا ..

وانطلقت السيارتان تطاردان (خالد) وابنته ، والشمس تغوص
في الأفق ، لتتم رحلة الغروب ، ولتغرق الصحراء في ظلامها الدامس
المخيف ..

وفي سيارتهما ، قالت (هبة) ، وهي تلتصق بوالدها في خوف :

- كل شيء مظلم .. أنا أخشى الظلام .

أجابها وهو يزيد من سرعته ، بأقصى ما يمكن أن تحتمله السيارة :

- لا تخشى شيئا وأنا إلى جوارك يا صغيرتي .. كل شيء يسير على
ما يرام ، صدقيني .. نحن نبتعد عن الخطر .

قالت مرتجفة :

- ولماذا لا تضيء أنوار السيارة ؟

قال في أسى :

- لو فعلت هذا سيكشفون موقعنا على الفور ، وهذا ما أخشاه .
قالت ، وهي تلتصق به أكثر وأكثر :

- ولكن الظلام مخيف ، ونحن ننطلق دون أن نرى ما أمامنا .
غمغم :

- اطمئني .. إنه نفس الطريق ، الذي أتينا منه .

لم يكن واثقا تماما مما يقول ، ولكنه حاول أن يبث فيها شيئا من
الارتياح ..

ولم تشعر الصغيرة بهذا الارتياح ، إلا أنها لاذت بالصمت التام ،
والتصقت به في خوف ، وراحت تتطلع أمامها مرتاعة ، محاولة
اختراق حجب الظلام ، الذي بدأت حدته تتزايد أكثر وأكثر ، كلما مضى
وقت أطول على غروب الشمس ..

وفجأة ، سقط الضوء على السيارة من الخلف ، فانتفض جسد
(خالد) في ذعر ، واستدار يتطلع إلى مصدر الضوء ، وأمكنه أن
يميز سيارتين عسكريتين ، تندفعان نحوه بأقصى سرعتيهما ، فصاح
في ابنته :

- تشبني بي جيدا .

وضغط دواسة الوقود بكل قوته ، فانطلقت السيارة تشق طريقها
وسط الصحراء المظلمة ، ووضع الضابط على فمه مكبرا صوتيا ،
وهو يهتف :

- توقف يا سيد (خالد) ، ولا تخش شيئاً .. إننا لن نفعل بابنتك ما يمكن أن يؤذيها .. صدقتى .. سنطرح عليها بضعة أسئلة فحسب .
لم يزد هذا القول (خالد) إلا إصراراً ، فاندفع بسيارته فى سرعة أكبر ، جعلت الضابط يغمغم فى حنى :
- هذا الغبى ينطلق بسرعة بالغة ، وسيارته لن تحتل كل هذا العنف .

كانت سيارة (خالد) ترتج فى عنف شديد بالفعل ، و (هبة) تتقاذف داخلها ، وهى تهتف مذعورة :

- توقف يا أبى .. توقف أرجوك .. هذا يؤلمنى .
كان قلبه يتمزق مع هتافاتها ، ولكنه يخشى فى الوقت نفسه أن يخفف من سرعته ، وإلا لحقت به السيارتان العسكريتان ، وانتزعوها منه بالقوة ..

ولكن فجأة ، ارتطم الإطار الأيمن الأمامى بتيبة عالية من الرمال ، فانحرفت السيارة إلى اليسار فى عنف ، ووثبت على نحو مخيف ، فضم (خالد) ابنته إليه فى قوة ، وهو يصرخ :
- تشبثى بى .. تشبثى جيداً .

ولكن السيارة انقلبت بغتة فى عنف ، وتدحرجت على نحو مخيف ، ثم توقفت على جانبها الأيمن ، وإطاراتها ما زالت تدور فى الهواء ..

وفى ذعر ، وعلى الرغم من الدماء التى تغمر وجهه ، صرخ (خالد) :

(هبة) .. (هبة) .

ولكن ابنته كانت ملقاة أمامه على الرمال ، وقد سالت الدماء من أنفها وفمها ، وبدا من الواضح أنها قد رحلت إلى حيث زوجته .. أمها ..

★ ★ ★



هبة .. قولى شينا يا (هبة)

أخذ (خالد) يصرخ فى انهيار ، وهو يضم جسد ابنته إلى صدره ،
والدماء النازفة من أنفها وفمها تغرق وجهه ، حتى بلغت السيارتان
العسكريتان ، وقفز الضابط إليه ، وهو يهتف فى ارتياح :

- ماذا فعلت أيها التعس ؟

وحاول أن يفحص الصغيرة ، ولكن (خالد) تشبث بابنته فى قوة ،
وأخذ يصرخ فى ثورة :

- اتركوها .. اتركوا ابنتى .

صرخ الضابط فى وجهه :

- دعنا نفحصها يا رجل .. ربما كان أمامها أمل فى النجاة .

الكلمة الأخيرة وحدها جعلت (خالد) يتركها ، ويتابعها ببصره
فى زهول شارد ، وهم يضعونها فوق الرمال ، والضابط يلصق أذنه
بصدرها فى قوة ، ثم سمعه يهتف :

- إنها مازالت حية ، ولكن قلبها ينبض فى ضعف شديد ..

استدعوا طائرة هليكوبتر على الفور ؛ لنقلها إلى المستشفى ..
أسرعوا بالله عليكم .. إنها تحتضر تقريبا .

قال (خالد) فى انهيار :

- وأنتم تريدونها حية بالتأكيد ، حتى يمكنكم الحصول على

المعلومات .

رفع الضابط عينيه إليه فى غضب ، وهو يقول :

- المعلومات؟! .. فلنذهب للمعلومات إلى الجحيم يا رجل .. ماذا
تتصورنا بالضبط؟! .. وحوش بلا قلوب تنبض؟! .. كل ما يهمنا الآن
هو أن تنجو ابنتك .. هل تفهمنى؟! .. إننى أب لطفلة فى مثل عمرها ،
ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟

سالت الدموع من عينى (خالد) فى مرارة ، وهو يقول :

- أنقذها إذن .. أرجوك .. أنقذ حياتها .. إنها أملى الوحيد فى
الحياة .. دعنى أقبل يديك .

قالها ، وهو يندفع نحو يدى الضابط بالفعل ، فنهره هذا الأخير
فى حدة ، هاتفا :

- تماسك يا رجل .. إننا نبذل قصارى جهدنا .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى عاد إليه أحد جنوده ، وقال :

- لقد اتصلنا بالهليكوبتر ، وستصل فى غضون ربع الساعة من
الآن .

سعلت (هبة) فى تلك اللحظة ، وتناثرت الدماء من فمها وأنفها
مع السعال ، فهتف (خالد) :

- قل لهم أن يسرعوا .. أرجوك .

ولكن جسد (هبة) الصغير راح ينتفض فى عنف ، ثم يسترخى ،
ويعود لينتفض ، فغمغم الضابط فى حزن ، وهو يقاوم دموعه :

- لست أعتقد أنهم سينجحوا فى إنقاذها ، مهما أسرعوا .. أنا
أسف ياسيد (خالد) ، ولكن من الواضح أن ...

قبل أن يتم عبارته ، سطع ضوء مبهر بغتة فوق رؤوسهم ،
وغمرهم تماما ، وأغشى أبصارهم ، فهتف الضابط :

- إنه ذلك الجسم .

كان هناك جسم مستدير ، أشبه بكرة ضخمة ، معلق فى الهواء ،

على ارتفاع عشرة أمتار ، وينبعث منه ذلك الضوء الأبيض المبهر ..
وبحركة غريزية ، مدفوعة بعامل الخوف والرغبة ، رفع الجنود
أسلحتهم ، وراحوا يطلقون النار على الكرة ، التي لم يبد عليها أدنى
اهتمام بما يفعلون ، كما لو أن هذه الرصاصات لم تنجح حتى في
خدشها ..

وهتف الضابط في توتر :

- ماذا يريدون ؟

أجابه (خالد) :

- لست أدري .. ولكنهم لن يفامروا بكشف موقعهم بلا مبرر ..
لم يكذب قولهم ، حتى انطلق من أسفل الكرة شعاع وردى ، على
هيئة أنبوب شفاف ، انزلق عبره جسم أسطوانى صغير ، أشبه
بشخص آلى بدانى ، يطابق ما وصفته (هبة) ..
قدمان صغيران ، وذراعان صغيران ، ورأس به عينان
خضراوان ..

وكان هذا الشخص الآلى ينزل متجهاً نحو (هبة) ، فصرخ
والدها :

- لا .. ليس (هبة) .

حاول أن يندفع نحو ابنته ، ولكنه ارتطم بالشعاع الوردى ، الذى
بداله أشد صلابة من الفولاذ ، على الرغم من رفته وشفافيته ، فراح
يدق عليه بقبضتيه فى عنف ، ويصرخ :

- اترك (هبة) .. اترك (هبة) أيها الوغد .

ولكن الآلى توقف أمام الصغيرة تماماً ، ثم ارتفع من رأسه شيء
يشبه هوائى اللاسلكى ، ولكنه انحنى ، واتجه نحو رأس (هبة)
مباشرة :

وفجأة ، فقد الأنبوب الوردى شفافيته ، وأخفى الآلى وجسد
(هبة) تماماً ..

وهنا أصيب (خالد) بالجنون ، وراح يضرب الأنبوب بقدميه
وقبضتيه ، وهو يصرخ :

- اتركوها .. اتركوا ابنتى .

أمسك به الضابط فى قوة ، ليبعده عن الأنبوب ، وهو يهتف :

- حذار يا رجل ، ربما كان ما تفعله ضاراً بابنتك .

قاومه (خالد) فى شراسة ، وهو يقول :

- اتركنى .. قلت لك اتركنى .

ومع آخر حروف هتافه ، اختفى الأنبوب بغتة ، ولم يعد هناك
أثر للشخص الآلى ، فأتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وغمغم
الضابط :

- أين ذهب ؟

امتزجت غمغمته بصليل مكتوم ، جعله يلتفت فى دهشة إلى
سيارته ، وارتفع حاجباه إلى أعلى ، عندما رأى الكرة الحمراء تغادر
صندوقها ، وتسبح فى الهواء فى بطء ، متجهة نحو (هبة) ، حيث
توقفت فوق رأسها تماماً ، ثم راحت تتألق وتتألق ، قبل أن تبعد
عنها ، وتفقد بريقها كله دفعة واحدة ، ثم تسقط على الرمال
كالحجر ..

وهنا بدأ ضوء الجسم المستدير يخفت ، وبدا وكأنه يرتفع أكثر
وأكثر ، فهتف الضابط :

- إنه يهرب مرة أخرى .

نظر إليه أحد الجنود فى دهشة ، وغمغم :

- يهرب؟! .. وممن يهرب يا سيادة الضابط ؟
وقبل أن يجيبه الضابط ، أو حتى يفكر في البحث عن جواب ، حلفت
مقاتلتان من طراز (ف - ١٥) فوق الجسم المستدير ، فصاح الضابط :
- لقد التقطته أجهزة الرادار .. سيهاجمونه حتماً .
ولكن ذلك الجسم المستدير انطلق إلى أعلى بغتة ، بصوت أشبه
بالفرقة المكتومة ، وبسرعة مذهلة ، أثارت عاصفة من الرمال ..
ثم انطلقت المقاتلتان خلفه ، واختفى الجميع في السماء ..
وبينما العيون كلها تتطلع مبهورة إلى حيث اختفى الجسم
المستدير ، كان (خالد) يضم جسد ابنته إلى صدره ، وهو يبكي في
حرارة ، متمتماً :

- ماذا فعلوا بك يا صغيرتي ؟ .. ماذا فعلوا بك يا قرّة عيني ؟
اقترب منه الضابط في عطف مشفق ، ووضع يده في رفق على
كتفه ، وهو يهمس في صوت حزين :
- لا ترهقها يا رجل .. دعها تسترح .

انهمرت دموع (خالد) في غزارة ، تغرق وجه ابنته ، قبل أن
يرقدها على الرمال في رفق ، ثم يستدير إلى الضابط ، هاتفاً :
- أنت المسئول .. كلكم مسئولون عما أصابها ، ولو أصابها
مكروه ، ستدفعون الثمن جميعاً .

أجاب الضابط في حدة :

- أي قول أحق هذا يا رجل ؟ .. لقد كنا نؤدى واجبنا ، ولكن
إصرارك على عدم التعاون معنا ، هو الذي تسبب في كل هذا ، ولو
أنك أبلغتنا ما لديك منذ البداية ، لاختلف الموقف تماماً .

صرخ (خالد) ، وهو يندفع نحوه :
- بل أنتم المسئولون .. أنتم الذين ...
وقبل أن يكمل عبارته ، أتاه صوت خافت يقول :
- أبى .

تسمر في مكانه ، ثم استدار يتطلع في دهشة إلى ابنته ، قبل أن
يصرخ في سعادة غامرة :

- (هبة) .. أنت بخير يا صغيرتي .. حمداً لله .. حمداً لله .
واندفع نحو صغيرته ، التي ابتسمت في براءة ، واحتواها بين
ذراعيه في فرحة هائلة ، وهو يشعر أن كل الدنيا لم تعد تعنيه ، فهي
الآن بين ذراعيه ..

وخلف ظهره ، كانت هناك ظاهرة عجيبة ، لم ينتبه إليها ..
كان هناك فريق كامل من فرق البحث المحترفة ، تنهمر من عينيه
الدموع ..

الدموع الحارة ..

★ ★ ★

« من (القرش المقاتل) إلى القاعدة .. نحن خلف الهدف ،
وسنطارده على ارتفاع كبير .. إنه يتجاوز السحب الآن ، هل يمكننا
التعامل معه ؟ ... » .

« من القاعدة إلى (القرش المقاتل) .. اكتف بالمطاردة فحسب ،
ولا تتعامل مع الهدف الآن ، إلا لو حاول هو التعامل معك ... » .
« من (القرش المقاتل) إلى القاعدة .. نحن نخترق السحب خلف
الهدف ، و ... رباه ! .. ما هذا بالضبط ؟ ... » .

أثارت تلك الصيحة الأخيرة موجة عنيفة من القلق والتوتر ، في قاعدة المراقبة ، فتبادل الجميع نظرة سريعة ، قبل أن يختطف القائد مسماع جهاز الاتصال ، ويهتف :

- ماذا حدث أيها (القرش المقاتل) ؟ .. ماذا وجدتما ؟

مضت لحظة من الصمت ، بدت للجميع أشبه بدهر كامل ، وكادت قلوبهم تتوقف ، قبل أن يأتيهم رد الطيار ، وهو يقول في ذهول :
- إنه شيء لا يمكن وصفه .. شيء هائل رهيب .. لقد كنت أتصور أن هذا الجسم ضخم للغاية ، فنصف قطره يكاد يبلغ خمسة أو ستة أمتار ، ولكنه يبدو ككرة تنس طاولة صغيرة ، أمام هذا الشيء .
قال القائد في توتر :

- صف لنا ما تراه جيدًا أيها (القرش المقاتل) .

أجاب الطيار مبهورًا :

- إنه شيء لا يمكنك أن ترى مثيلاً له قط .. ليست مجرد سفينة فضاء ، ولكن مدينة كاملة تسبح بأعلى .. شيء في حجم الهرم الأكبر ثلاث مرات على الأقل ، وقد دخل إليه ذلك الجسم المستدير ، عبر ممر طويل مضاء .. يا إلهي ! .. كيف لم تلتقط أجهزتنا شيئاً بهذا الحجم؟! أراهن على أن لديهم أجهزة مدهشة ، للشوشرة على الرادارات .

هتف به القائد :

- هل يمكنك أن تلتقط صورته ؟ .. هل يمكنك هذا ؟

أجاب الطيار :

- ولكنه يتحرك .. لقد بدأ يدور حول نفسه ، و ...

قاطع فجأة دوى عجيب ، امتزج بفرقعة مكتومة ، فصاح القائد قَلْبًا :

- ماذا حدث يا رجل ؟ .. هل أصابك مكروه ؟

أتاه صوت الطيار مفعماً بالذهول ، وهو يجيب :

- كلاً ، ولكن تلك المدينة الطائرة انطلقت بسرعة مذهلة ، واختفت في غياهب الفضاء في لمح البصر .. إنه شيء عجيب .. شيء لا يصدق .

عاد القائد يتبادل نظرة متوترة مع الرجال ، في قاعدة المراقبة ، ثم قال :

- من القاعدة إلى (القرش المقاتل) .. عد على الفور .. لقد انتهت المهمة .. أكرر .. عد على الفور .

وعندما أنهى الاتصال ، كان وجهه يحمل تعبيراً عجيباً ، وتطل من عينيه نظرة لم يشاهدها رجاله من قبل ..
نظرة تحمل تساؤلاً واحداً ..

هل انتهت المهمة بالفعل ؛ أم أن كل هذا مجرد بداية ؟

هل اكتفى هؤلاء الغرباء بما حصلوا عليه من الأرض ، أم أنهم يخططون لعودة ثانية؟! ..

وهل ستكون نقطة هبوطهم ، في تلك المرة القادمة ، هي (مصر) أيضاً؟ ..

كل هذه الأسئلة وغيرها دارت في ذهنه ، ولكنها لم تجد جواباً ..
أي جواب ..

الخميس أول أغسطس ..

صديقى العزيز محمد ..

بعد التحية ...

هذا رابع خطاب أرسله إليك ، منذ وصولى إلى هنا ، وهى فرصة طيبة لأن أرسله فور الانتهاء منه ؛ لأننى أكتبه لك فى (مديرية التحرير) ، التى نقوم بزيارة لها أنا و (هبة) ، لشراء بعض المستلزمات المطلوبة لمزرعتنا ، وكم أتمنى أن تنتهى من أوراقك ، حتى تلحق بنا ، وتصبح جارنا هنا ..

و (هبة) بخير والحمد لله ، وهى تشكر كثيرًا على اللعبة التى أرسلتها ، وتتمنى رؤيتك فى القريب العاجل هنا ..

هل تعلم يا صديقى العزيز أن فكرتى عن المسئولين فى الجيش كانت سينة للغاية ، ولكننى الآن أحمل إليهم الكثير من الاحترام والحب والتقدير ، بعد العناية الفائقة ، التى أحاطونى بها أنا و (هبة) ، فى أثناء تواجدهم معهم ..

لقد كنت أتصور أنهم سيستجوبون (هبة) فى حزم وصرامة ، ولكنهم كانوا فى غاية اللطف والرفقة معها ، حتى أنها أحببتهم كثيرًا ، وقصت عليهم كل ما لديها ، وسجلته معهم على شرائط (فيديو) ، بالصوت والصورة ، ثم أعطوها الكثير من الهدايا واللعب ، واعتذروا لنا عن أية متاعب يمكن أن يكونوا قد تسببوا لنا فيها ، وأهدونى سيارة (جيب) جديدة ، من إنتاج المصانع الحربية ..

أما عن شفاء (هبة) العجيب ، الذى رويته لك فى خطابى الثانى ، فمازال يثير حيرتهم حتى الآن ، إذ أنهم لم يعثروا فى جسدها على أية إصابات ، كما لو أن قوة مجهولة قد شفتها تمامًا ، أما عن تلك

الكرة ، فبعد أن فقدت بريقها ، أصبحت مجرد قطعة من البلاستيك ، أو من مادة شبيهة به ، ولكنهم احتفظوا بها ، ولم يعيدوها إلينا .. وليست هذه هى وحدها الأخبار العجيبة يا صديقى العزيز ، بل هناك خبر أكثر غرابة ، فقد قمت بحرث الأرض ، ونثرت فيها البذور ، ثم رويتها بمياه البئر ، فهل تعلم ماذا حدث؟! لقد فوجئت بها تنمو ، وتخرج براعم قوية ، قبل مرور أسبوع واحد ..

هل تصدق هذا ؟

هل يمكنك أن تتصوره ؟ ..

هل قرأته فى أى كتاب فى حياتك كلها ؟

والعجيب أن هذا لا يحدث فى المنطقة كلها ، ولكن فى أرضى وحدها ، وحتى حدودها بالضبط ..

هل تعتقد أن الغرباء هم المسئولون عن هذا أيضا ؟

أنا أعتقد هذا يا صديقى ؟

بل أؤمن به أشد الإيمان .

لقد شاهدنا أياما عصيبة هنا ، ولكن كل شىء انتهى فى سلام ، ومن حسن الحظ أن الأطفال لا يحتفظون بالكثير من الذكريات طويلاً ..

صحيح أن (هبة) تتحدث فى بعض الأحيان عن الأزمات السبعة ، وتتذكر هديتهم ، ولكنها سرعان ما تنسى هذا ، وتتهمك فى اللعب مع (ميكى) ، الذى أصبح أكثر قوة ونشاطاً عن ذى قبل ..

أما أنا ، فلن أنسى أبدا هؤلاء الضيوف ، الذين قدموا من الفضاء ..

ولا تجعل كلمة الضيوف هذه تدهشك ، فأنا مقتنع تماما بأنهم ما جاءوا من أجل الشر ، ففارق التقدم المدهش بيننا وبينهم ، كان يسمح لهم بتدميرنا تماما لو أرادوا ، قبل أن نجد الفرصة حتى لاستيعاب ما يفعلونه ..

صدقني يا صديقي العزيز .. لقد راجعت كل ما فعلوه أكثر من مرة ، فى ليالى المزرعة الطويلة ، وتوصلت فى النهاية إلى حقيقة واحدة ..

هذا الضيف الذى أتى إلينا ، من وراء النجوم ، لم يفعل كل ما فعل ، إلا لأنه جاء من أجل هدف واحد ..

السلام ..

السلام وحده ..

صديقك

(خالد)

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]



حلول اختبر معلوماتك

- | | |
|----------------------|-------------------------|
| ١ - التبريزى . | ١١ - إيجه . |
| ٢ - الميكروسكوب . | ١٢ - رحلات جاليفر . |
| ٣ - باجاتينى . | ١٣ - عبدالعزیز البشرى . |
| ٤ - الضبع . | ١٤ - المساحة . |
| ٥ - أوليمبوس . | ١٥ - القرحة . |
| ٦ - محمد عبده . | ١٦ - يوجين أونيل . |
| ٧ - المنجنيق . | ١٧ - الفول . |
| ٨ - الصهر . | ١٨ - ابن طفيل . |
| ٩ - بوريس باسترناك . | ١٩ - بالرمو . |
| ١٠ - الذهب . | ٢٠ - الأنثروبولوجيا . |

روايات مصرية للجيب

كوكب
٢٠٠٠

في هذا الكتاب

صفحة

• كنت هناك (قصة قصيرة).... ٥

• اختبر معلوماتك ١٦

عملية صقر

عملية صقر (الجزء الرابع والأخير) ٢٣

• المرأة مشكلة.. صنعها الرجل

(دراسة) ٨٣

قصة العدد

• ضيف النجوم ٩٧

• حلول اختبر معلوماتك ١٨٩

• عزيزي القارئ ١٩٠

التمن في مصر ١٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي

في سائر الدول العربية والعالم

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة في الشويق والإثارة

